



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية



مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية

Mustansiriyah Journal of Humanities

مجلة محكمة فصلية تصدر عن كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

تهتم بالبحوث الإنسانية والتربوية

المؤتمر العلمي السادس والعشرين للعلوم الإنسانية والتربوية

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية للمدة ٣-٤ أيار ٢٠٢٣

عدد خاص / ٢

مجاور (علوم القرآن والتربية الإسلامية/ اللغة العربية/ الجغرافية)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٥٩٩ لعام ١٩٩٧

Print ISSN: 2958-0730 e-ISSN: 2958-0722

E-mail: mjhedu@uomustansiriyah.edu.iq

<https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/index>

المرجعيات القرآنية في فكر الإمام السجاد (عليه السلام)
- دراسة تربوية تحليلية في الحقوق العبادية -
أ.د. محمد كاظم الفتلاوي
كلية التربية/ جامعة الكوفة

الملخص:

القرآن المجيد والعترة الطاهرة (ع) هما حبل الله العاصم للناس من الانحراف والطيش في اتباع الهوى، وسر تعاليم نصوص الكتاب العزيز وسنة المعصوم (ع) تكمن في هداية وارشاد الإنسان على وفق ما فرضه الله تعالى لما فيه تربيته الصالحة وسمو الذات، ومن ابرز معالم الهداية ما شرعه سبحانه من عبادات اودع فيها اسرار عظيمة لا يمكن بيان كنهها إلا عن طريق الكتاب والعترة (ع)، وكان للإمام علي بن الحسين السجاد (ع) قصب السبق لما كان من ظروف عصره، وانشغاله في هداية الناس وإصلاح احوالهم الشخصية والاجتماعية عن طريق اخراج العبادات من طقوس جامدة الى واقع حركي فاعل في الإنسان وفي منظور قرآني، فكان هذا من أسباب اختيار موضوع البحث: (المرجعيات القرآنية في فكر الإمام السجاد "عليه السلام" - دراسة تربوية تحليلية في الحقوق العبادية -)، والذي كان بمنهج البحث الوصفي التحليلي، واما خطة البحث كانت من أربعة مطالب، المطلب الأول بعنوان المرجعية القرآنية في حق عبادة الصلاة وأثرها التربوي في فكر الإمام (ع)، والمطلب الثاني المرجعية القرآنية في حق عبادة الزكاة في فكر الإمام السجاد(ع)، والمطلب الثالث المرجعية القرآنية في حق عبادة الصوم في فكر الإمام ع، والمطلب الرابع المرجعية القرآنية في حق عبادة الحج في فكر الإمام ع، وكل هذه المطالب دراسة تربوية تحليلية، متلوات بخاتمة وقائمة المصادر.

الكلمات المفتاحية: (المرجعيات القرآنية، الفكر التربوي، الإمام السجاد، الحقوق العبادية).

Abstract

The Holy Qur'an and the pure progeny are the rope of God Almighty for guiding His servants, and Imam Al-Sajjad is the removal of worship from rigid rituals to an active dynamic reality in the individual and society.

As for the research methodology, it was the descriptive analytical approach, and the research plan consisted of four demands, the first requirement entitled the Qur'anic reference in the right to worship prayer and its educational impact in the thought of Imam pbuh, and the second requirement is the Quranic reference in the right to worship zakat in the thought of Imam al-Sajjad (ع), and the third requirement The Qur'anic reference in the right to worship fasting in the thought of Imam pbuh, and the fourth requirement The Qur'anic reference in the right of the worship of pilgrimage in the thought of Imam pbuh, and all these demands are an analytical educational study, recited by a conclusion and a list of sources.

Keywords: (Quranic references, educational thought, Imam al-Sajjad, worship rights).

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أما بعد.. لم ينفك أهل البيت (ع) أصحاب مدرسة مستقلة في ذاتها فريدة في أسلوبها عميقة في جوهرها وأصالتها، وهي بهذا ليست مكررة لنسخ تربوية أخرى، وإنما تستمد أصالتها من أصالة نصوص القرآن المجيد.

والإمام علي بن الحسين (ع)، وهو الامتداد الطبيعي لهذه المدرسة المباركة، إذ كان واقع رسالة الحقوق أنموذجاً معبراً عن دستور خالد في نصوصه التربوية، وفي كل مفرداتها الحقوقية المختلفة المجالات، فقد برز الإمام السجاد(ع) (على الصعيد العلمي إماماً ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته)^(١).

فكان من أسباب اختيار موضوع البحث: (المرجعيات القرآنية في فكر الإمام السجاد "عليه السلام" - دراسة تربوية تحليلية في الحقوق العبادية -)، إن التربية العبادية من أبرز الدعائم الأساسية في بناء المجتمع، وهذه التربية إنما هي ترجمة عملية للبناء العقائدي، فالإنسان يعتقد أولاً ومن ثمة يؤدي الطقوس العبادية طبقاً لأوار معتقداته. فكان بحثنا متضمناً لحق العبادات ذات الارتباط الزماني بفواصل زمانية متفاوتة (الصلاة والزكاة والصوم والحج).

والسبب في هذا أن العبادات ذات الارتباط الزماني المكلف بها الإنسان يحتاجها في حركته التكاملية إلى الله تعالى... ولذلك فإن الله تعالى يفرضها على الناس في كل الظروف، مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج، وهي التي نقصدها من (الرواتب)، وهي العبادات التي يحتاجها الإنسان لتكامله النفسي، والروحي، والعقلي، بغض النظر عن أية ظروف موضوعية وفي كل الظروف، وهي على أقسام حسب حاجة الإنسان إليها.

كما إن الكلام عن هذا التنوع في هذه العبادات له أثر في تربية الإنسان، إذ (لكل عبادة من العبادات وكل منسك من المناسك الشرعية، فضلاً عن أن لها صورة أخروية وملكوته، بها تقم عمارة الجنة الجسمانية وقصورها، وتهيئة الغلمان والحوار طبقاً للبراهين والأحاديث^(٢)) فإن لكل عبادة من العبادات أيضاً أثراً يحصل في النفس، مما يقوي الإرادة شيئاً فشيئاً ويصل بقدرتها إلى حد الكمال^(٣).

وإن التربية العبادية تحتاج إلى نصوص تُنظر لواقع عملي تستند عليها، إذ إن التربية تُعد الأساس لعملية الإصلاح ووسيلة مهمة لتحقيق أهداف المجتمع وفق فلسفة إسلامية، وإن القرآن الكريم وسنة المعصوم الركيزة الأساس لهذه الأهداف، وإن رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) وإشارته إلى الحقوق العبادية هي بمثابة سند وبيان لفلسفة للتربية العبادية.

وأما أهمية البحث: فإن التربية تُعد قوة مؤثرة في حركة التعبير الاجتماعي نحو الأفضل إذا أحسن توجيهها، وإذا كانت الفجوة كبيرة بين حاضرها والواقع الذي عاشه أسلافنا الكرام فإن ذلك يدفعنا إلى تأكيد أهمية التأصيل بإرجاع القضايا التربوية إلى جذورها في تراثنا الإسلامي، لذا من الضروري أن ننطلق من الواقع ومتغيراته المختلفة، ورصد مشكلاته المتنوعة لتجاوز الخلف، والإمام علي بن الحسين (ع) يمثل ذلك النص المعصوم الناطق بالدلالات التربوية المترجمة لأي النص القرآني الكريم. فليس العبادة - كما يتصور أكثر الناس - منحصرة في الشعائر التُعبديّة فقط، بل إن دائرة العبادات تتسع لتشمل جميع حركات الإنسان، وتستوعب كل جوانب الحياة، وتحجيم دور العبادة واختصارها على طقوس خاوية ومراسيم شكلية بعيدة عن نشاطات الحياة المختلفة في ثنائية (تشمل العبادة وتعطل دورها التربوي البناء في تطوير دوافع الإنسان وجعلها موضوعية، وتمكينه من أن يتجاوز ذاته ومصالحه الضيقة في مختلف مجالات العمل، والله سبحانه لم يركز على أن يُعبد من أجل تكريس ذاته وهو الغني عن عباده، لكي يكتفي منهم بعبادة من هذا القبيل، ولم ينصب نفسه هدفاً وغاية للمسيرة الإنسانية لكي يطأطئ الإنسان رأسه بين يديه في مجال عبادته وكفى، وإنما أراد بهذه العبادة أن يبني الإنسان الصالح القادر على أن يتجاوز ذاته ويساهم في المسيرة بدور أكبر، ولا يتم التحقيق الأمثل لذلك إلا إذا امتدت روح العبادة تدريجاً إلى نشاطات الحياة الأخرى^(٤)) وتوزعت لأجل هذا العبادات على مجالات الحياة المختلفة في شمولية ملحوظة.

أما منهج البحث: فكان المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى (وصف الأشياء أو الظواهر أو الأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها ووسائلها وتحليلها واخذ العبرة منها وتوقع تأثيراتها المستقبلية)^(٥).

وأما خطة البحث: وتحقيقاً للأهداف والأسباب التي دعت إلى اختيار موضوع البحث، فقد كانت خطة البحث مكونة من أربع مطالب وعلى النحو التالي:

المطلب الأول بعنوان المرجعية القرآنية في حق عبادة الصلاة وأثرها التربوي في فكر الإمام ع، والمطلب الثاني المرجعية القرآنية في حق عبادة الزكاة في فكر الإمام السجاد(ع)، والمطلب الثالث المرجعية القرآنية في حق عبادة الصوم في فكر الإمام ع، والمطلب الرابع المرجعية القرآنية في حق عبادة الحج في فكر الإمام ع، وكل هذه المطالب دراسة تربوية تحليلية، متلوات بخاتمة وقائمة بالمصادر.

المطلب الأول: المرجعية القرآنية في حق عبادة الصلاة في فكر الإمام(ع)

- دراسة تربوية تحليلية -

يفتح الإمام السجاد (ع) حق الصلاة على مؤيديها في وجوب فهم طبيعتها، ويحدد ذلك بأنها وفادة وسفر يعرج به الإنسان إلى ربه، وما يفهم من هذا الكلام هو أن الإنسان طيلة ساعات انشغاله وحرركته إنما له نوع اتصال وتفاعل بما حوله من الأشياء ومن حوله من الأفراد.

وقد اتخذها الإمام (ع) معراجاً ترفعه إلى الله تعالى، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع فيها، فقيل له في ذلك فقال: (أتدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي؟!)^(٦).

ذلك إن الصلاة أول فرائض الإسلام، وهي نهج متكامل في تربية الإنسان، تطهره ظاهراً وباطناً، وتروي فيه شجرة الفطرة الإنسانية بماء الوضوء، ونور الذكر وروعة التجرد لله تعالى، فكل ما تنشده الإنسانية من مساواة وعفة ومحبة وقوة وأدب في واقع ملموس، تراه في أصوات الساجدين المتبتلين والداعين والذاكرين والمتجهين لربهم، وتبين أهداف الصلاة وأثارها في بناء الإنسان - بقدر استطاع الباحث - بالأمور الآتية:

أولاً: الصلاة امتثال لأمر الله تعالى: إن أهم هدف للصلاة هو الامتثال لأمر الله □، بغض النظر عن أي هدف آخر للصلاة، فالله تعالى أمر بالصلاة بأدلة كثيرة، منها قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)^(٧). والعبد المخلوق لا يسعه إلا أن يمتثل أمر الله سبحانه، فيصلي كما أمر، وهذا الامتثال يُعلم المرء كيفية خضوع القلب لجلال الله تعالى، وكيفية تأديب الجوارح خشوعاً لعزته، وهذا الامتثال لا يقف أي حائل دون تطبيقه وتحقيق الارتباط بين العبد وخالقه. يقول المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إن إقامة الصلاة والارتباط بين العبد وخالقه يجب أن يتحقق في جميع الظروف والحالات، وبهذا تتحصل نقطة ارتكاز الإنسان واعتماده على الله، فتكون مبعث الأمل والرجاء في الحياة وتعينه في التغلب على جميع المصاعب والمشكلات)^(٨).

ثانياً: الصلاة وسيلة فعالة لمحو الخطايا، طالما أنّ بني الإنسان خطاؤون، ما خلا من عصم الله تعالى، وأن الخطائين مذنبون، لهذا فضلاً من الله سبحانه وكرماً منه، فرض الصلاة خمس مرات في النهار والليل لمحو الخطايا التي تتكرر بتكرار الأيام والأشهر والسنين، نعم يدخل (المسلم في صلاته بألامه وآماله ومعصيته وتوبته وآثام حواسه وجوارحه، ثم ينصرف وقد ألقى كل ذلك في حضرة الغفور الرحيم، ويعود إلى دنياه متجدد الإيمان ومتجدد الوجود)^(٩).

وهذا ما أكدته السنة المطهرة، قال رسول الله (ص): (أرأيتم لو أنّ نهراً على باب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى في بدنه من درنه شيء؟، قالوا: لا، قال (ص): كذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا)^(١٠).

وحديث سلمان الفارسي عن رسول الله(ص): (إنه كان معه تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً، فحزه حتى تحات ورقه، ثم قال: يا سلمان ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ قال: إن المسلم؛ إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطايها كما تحات هذا الورق، ثم تلا الآية الكريمة: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)^(١١)^(١٢).

ثالثاً: الصلاة غذاء روحي: الإنسان بطبيعة الحال مركب من الجسم والروح، فكما أنّ جسمه يحتاج إلى غذاء ينميه ويقويه ويمنحه من المناعة ما يقاوم به الأمراض، فإن روحه كذلك تحتاج إلى غذاء يقويها ويسمو بها إلى عالم الملكوت، وهذا الغذاء كامن في إقامة الصلاة، شأنها شأن بقية الواجبات.

إن القلق النفسي يفتك بالمجتمعات البشرية في الوقت الحاضر، وهو يزداد ضراوة يوماً بعد يوم، نظراً لتعدد الحياة وتشابك المشاغل ويسلك طريقة إلى القلوب في سهولة ويسر؛ لأن الطرق أمامه معبدة عدا الطرق المؤدية إلى قلوب المؤمنين المقيمين الصلاة، إذ مداخله أمام هذه القلوب مسدودة، لذلك فإن القلق لا يظفر بها، فإن تسرب منه شيء إليها، فإنه يذوب ويتلاشى أمام الإيمان المتولد من صلة الإنسان بربه في صلاته كل يوم، وذلك أن الإنسان المؤمن ينظر إلى ما بعد هذه الحياة الدنيا، فيكون فكره وهمه به فقط، فلا يحزن ولا يغتم لما توجه به بكل جوارحه إلى معبوده الخالق، وهو بهذا يغذي روحه ويتفاعل مع الصلاة بحضور القلب، بابتعاده عن (عالم المادة قليلاً ويقترّب من عالم الربوبية فيغتسل القلب من ادراج المادة وينفصل عن صخب الحياة ويضع قدميه في عالم مفعم بالسكينة والطمأنينة والسلام)^(١٣)، يقول أمير المؤمنين علي(ع): (إن من أحب عباد الله إليه عبداً تخلى من الهموم إلا همأ واحداً انفراداً به)^(١٤)، أي لا يكون له هم وحزن سوى ما كان لأمر الآخرة، فلا يمكنه إدراك أهمية الصلاة إلا بعد أن يعتقد بفناء الدنيا، وزوال نعيمها المادي، ويتيقن من بقاء الآخرة ودوامها، ثم يعلم بأن الصلاة هي أفضل وسيلة للحصول على ذلك الثواب والنعيم الدائم)^(١٥)، بما تغذيه في رح المصلي من إيمان وتوجه.

رابعاً: إن القرآن الكريم حينما عرض للصلاة وهو يبرز أهدافها عرض لها من جهات متعددة، فقد عرض لها في موضع على أنها من أوصاف المتقين الذين ينتفعون بهذا الكتاب الكريم، والذين كانوا بتلك الأوصاف على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحين، قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١٦). فتعميق الصلاة لهذه الصفات لكونها (خطأً روحياً مباشراً بين الإنسان وبين الله)^(١٧).

وعرض لها مرة على أنها عنصر من عناصر البر والحق الذي رسمه الله لعباده ودعاهم إليه، وجعله عنواناً على صدقهم في الإيمان، وعلى أنهم المتقون، قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ)^(١٨)، فنلاحظ أن (الإيمان وإقامة الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها)^(١٩).

وعرض لها على أنها سبيل يؤهل القائم بها أن يتأخو في الدين ويتقرر لهم ما تفرضه الأخوة من حقوق وواجبات قال تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)^(٢٠)، فنلاحظ أن المشركين بمجرد الإتيان بهذه الصلاة وإقامتها مع الركن الآخر، يكونوا إخوان المسلمين على الرغم من العداوة السابقة، فهذا (نص في أن أخوة الدين تثبت بهذين الركنين ولا تثبت بغيرهما من دونهما... وهل يتعارف الأخوان في الدين إلا بإقامة الصلوات في المساجد وسائر المعاهد)^(٢١)، فهي عنوان للأخوة في المجتمع.

كما عرض لها على أنها عنوان للتمسك بالكتاب وسبيل للحصول على أجر المصلين، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)^(٢٢) إلى غير ذلك من المواطن التي تقرر أن المقيم للصلاة كما أرادها الله والمتفاعل معها إنسان تتحقق فيه العناصر المكونة لشخصية الإنسان المؤمن، وإذا وجدت هذه الشخصية المؤمنة داخل المجتمع فإنها بالطبيعة تندفع نحو الخير والترابط والتعاون، إذ الإيمان الذي تؤسس له الصلاة وتنبته يتعامل بأوامر الإسلام القاضية بلزوم أخوة من يتمثل معها في الدين والعقيدة.

سادساً: الصلاة قوة جسمانية: إن الصلاة إذا أدبت بأقوالها وأفعالها أداء صحيحاً كما كان يصلي الرسول(ص)، فإنها ستكون خير تربية رياضية للمصلي، فهي أشبه بالتمارين الرياضية التي تتدرب بها الفرقة الرياضية، وهي بهذا تقوم بتقويم جسم الإنسان وتجديد نشاطه والحركة الصلاتية عند التأمل فيها، نجد أنها تكفل للجسم الحد المعقول من الحركة التي تؤدي إلى حفظ

حيويته، وتعمل على نموه إذ (إن الحركات الصلاتية تشمل الجسم كله، بحيث لا يبقى عضو فيه، إلا ينال قسطاً من الغذاء الحركي إذا صح التعبير)^(٢٣).

ونلاحظ الآثار الصحية أيضاً في مقدمات الصلاة الواجبة كالوضوء، وتأثيره الفسيولوجي، إذ الاغتسال بالماء على فترات معينة من اليوم الواحد يساعد على استرخاء العضلات، وتخفيف حدة التوتر النفسي والبدني، ولذلك أوصى (ص) بالوضوء إذا غضب الإنسان، فإنه أوجب الوضوء للصلاة، فلا صلاة من دون وضوء، وإذا فقد الوضوء وجب التيمم بالصعيد الطاهر الطيب، ليكون موصول بالسبب بالوضوء^(٢٤).

سابعاً: إن الصلاة بمواعيدها المحددة وأسلوب أدائها المتميز بحركاته وأفعاله وأقواله، تدريب على حب النظام والالتزام به في جميع شؤون الحياة، كما يتيح الفرصة لنشأة أعراف سلوكية ذات شأن عظيم، بل أسلوب الدعوة إلى الصلاة، والذي نسميه الأذان يعطي صورة راشدة وكريمة للإعلام الإسلامي في أمثل ظواهره، وإذا تفاعل كل مسلم مع هذه الأمور حقق مثالية السلوك، إذ يمكنه أن يتعامل مع الأهداف الخاصة والمصلحة العامة بشكل مضبوط متزن لا يضيع معه هدف الفرد ولا تضعف معه مصلحة الجماعة.

وإذا عاش المجتمع بهذا الأسلوب من السهل أن يتحد أفرادهم ويتعاونوا في تحديد معالم الأهداف العامة ويحققوها بالنظام والالتزام مع مراعاة الأهداف الخاصة، وذلك من خلال توعية راشدة ودعوة كريمة تطرح على الأفراد مراعاة ظروفهم ظروف المجتمع والأفراد سواء بسواء.

ولصلاة الجماعة آثار عظيمة فمارستها العملية تؤكد على المساواة إذ (تنفي فوارق اللون، وفوارق الثراء، وفوارق الدم، فيشعر الفرد شعوراً حقيقياً بأنه للجماعة، وتشعر الجماعة بأنها للفرد)^(٢٥).

والصلاة بهذا المعنى لا تخلو من روح النظام العسكري، فالطاعة والنظام اللذان يتعلمهما الجندي تستمدان قوتها من قانون التربية العسكرية، فالجندي يجب أن يطيع قائده وعليه أن ينفذ أوامره في كل ما يصدر إليه من حركات ينبغي عليه أن يؤديها أو أعمال يجب عليه تنفيذها أثناء القيام بالواجب، شريطة أن يكون ذلك في طاعة الله تعالى.

وأبرز مثال على هذه التربية يظهر عن طريق صلاة الجماعة التي ينبغي على المصلي أن يؤديها في صفوف مستقيمة وحركات منتظمة وبكيفية خاصة، فهو يعرف أنه إذا لم يستوف صلواته في صفوف منتظمة، فإن الله لا ينظر إليه، فهذا العمل العبادي للخالق سبحانه الذي يعلو شأنه شأن القائد الأعلى كما هو حال التنظيم العسكري.

يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (فكما تنمي وترسخ روح الطاعة والارتباط في نفس الجندي خلال التدريب العسكري، بتوجيه أوامر إليه وتكليفه بأن يمتثلها تعبداً، وبدون مناقشة، كذلك ينمي ويرسخ شعور الإنسان العابد بالارتباط بربه بتكليفه بأن يمارس هذه العبادات بجوانبها الغيبية انقياداً واستسلاماً)^(٢٦).

ونفس الثمار نقتطفها من صلاة الجمعة أيضاً (ما النهي عن البيع في وقتها إلا لتحقيق غرض أسمى وهو اجتماع المسلمين في عبادة جماعية تدر عليهم نفع معنوي لا يُقدَّر بثمن، بحيث لا قيمة لما يربحونه من أعمال تشغلهم عن هذا المكسب العظيم)^(٢٧).

ثامناً: ومن آثار الصلاة على الإنسان المسلم أنها من أسباب استقامته وصلاح أخلاقه، وسلامة قلبه وروحه وعقله، قال تعالى: **(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)**^(٢٨)، فالصلاة في الحقيقية طاعة لله تعالى، والله سبحانه لا يأمر بالفحشاء والمنكر، بل هو تعالى ينهي عنهما، لذا كان لزاماً على العبد المطيع لأمر مولاه أن يكون بعيداً عن الفحشاء والمنكر منتهياً عنهما، والصلاة مظهر من مظاهر الطاعة والانقياد لله تعالى^(٢٩).

وبطبيعة الحال المعنى بالصلاة هنا ليس أدائها فحسب، بل قيامها (بكامل شروطها ولوازمها الروحية والمادية فمن شأنها أن تكون عامل ردع عن الفحشاء والمنكر)^(٣٠).

ونلاحظ أثر الصلاة النفسي في واقع الإنسان وبناءه الاجتماعي أن يبدأ الإنسان (بالتأمل والتطهير الفردي، ويمتد ليشمل النزعة الجماعية التي تشيعها الصلاة في صلوات الجماعة والاجتماع لها في المساجد في الأيام العادية وفي المناسبات، مما يعمق المفهوم الاجتماعي لهذه الشعيرة الهامة من شعائر الإسلام)^(٣١)، فليس بمجتمع مسلم ذلك الذي لا تحتل الصلاة من برامجه التعليمية والثقافية والإعلامية مكاناً يليق بأهميتها في دين الله، وفي حياة المسلمين.

فالصلاة وسيلة فعالة لتحسين خلق الإنسان المسلم والوصول به إلى الطهارة والنقاوة، فهي تحصنه من رذائل الأخلاق، قال تعالى: **(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)**^(٣٢)، فنلاحظ أن أول ما يذكر القرآن المجيد في ردع هذه الآفات الخلقية استثناء الإنسان المرتبط بالله تعالى، وذكر أول عامل ردع عبادي هو الصلاة لشرفها ومنزلتها وفعاليتها في الإنسان المقيم لها.

ويرى الباحث أن للصلاة أهدافاً وآثاراً على الإنسان مما لا يحصى مجاله، وقد توسع العلماء في آثارها الظاهرية^(٣٣). ولا غرو أن تبعث الصلاة على الإستقامة الشاملة، وهي تربط الإنسان بربه فيستشعر عظمتهم ومراقبته له وإطلاعهم عليه، وإحاطته بسره وجهه، ثم هو موقف اختبار دائم من خلال هذه الصلاة التي هي الصلة بين العبد وربه، فلا بد أن يحرص العبد على سلامتها وحسنها، وذلك يقتضي أن تأخذ أثرها في شأنه كله قلباً وقالباً، وبالتالي فإن الصلاة تضيء على المسلم (من تهذيب للأخلاق

وتقويم للسلوك... وانقياداً لإرادة الله، وخشيته ومحبته سبحانه^(٣٤)، ما يصلح حياته في علاقته بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بمن حوله من الأهل والأقارب والمجتمع عامة.

وكل هذه المعاني حاضرة في جوهرها عند الإمام علي بن الحسين السجاد (ع) في قوله: (وَحَقُّ الصَّلَاةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ فِيهَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ قَمْتَ مَقَامَ الذَّلِيلِ الْحَقِيرِ، الرَّاعِبِ الرَّاهِبِ، وَالرَّاجِيِ الْخَائِفِ الْمُسْتَكِينِ الْمَتَضَرِّعِ، الْمَعْظَمِ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْوَقَارِ، وَتَقَبَّلَ عَلَيْهَا بِقَلْبِكَ وَتَقِيمُهَا بِحُدُودِهَا وَحَقُوقِهَا)^(٣٥)، إذ أعطانا لوحة جميلة في التعليم والتوجيه، يريد أن يصلنا بالله ومن خلال هذه الصلة يعلمنا الأدب مع عزته وجلاله، وأن يصلي المسلم بسكينة ووقار، خاشع الأطراف، حسن المناجاة مع الله، وحسن السلوك مع الناس، إذ إن من الخطايا ما يكون بين الإنسان وربه، ومنها ما يكون بين الإنسان والإنسان، ولا يمكن أن نتصور غفران الذنوب إلا بما تضيفه الصلاة من آثار على سلوك الإنسان.

المطلب الثاني: المرجعية القرآنية في حق عبادة الزكاة في فكر الإمام السجاد (ع)

- دراسة تربوية تحليلية -

لم يقتصر الإسلام على حض أتباعه وحثهم على العطاء المادي والإيثار بما يملكون من مال وحاجات أخرى، وإنما أراد أن يرتقي بروح المسلم للتسامي إلى البذل المعنوي الذي تفوق تأثيراته ومنافعه دائرة منافع الصدقة المادية^(٣٦).

وما أشار إليه الإمام السجاد (ع) في حق الصدقة في قوله: (وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذَخْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ وَوَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ عَلَيْهَا، وَكُنْتَ بِمَا تَسْتَوِدِعُهُ سِرّاً أَوْ تُثِقَ مِنْكَ بِمَا تَسْتَوِدِعُهُ عَلَانِيَةً وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَدْفَعُ الْبَلَايَا وَالْأَسْقَامَ عَنكَ فِي الدُّنْيَا، وَتَدْفَعُ عَنكَ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ. وَحَقُّ الْهَدْيِ أَنْ تَرِيدَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَرِيدَ بِهِ خَلْقَهُ وَلَا تَرِيدَ بِهِ إِلَّا التَّعَرُّضَ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَنَجَاةَ رَوْحِكَ يَوْمَ تَلْقَاهُ)^(٣٧)، قد ورد في القرآن الكريم مع ذكر تشبيهات مختلفة وسنشير إليها، إلا إن من الضروري أن نوضح بأن الصدقة عبارة عن شيء ينفقه الإنسان من ماله قربة إلى الله تعالى، وهي أعم من الزكاة وتطلق الصدقة على الواجب والمستحب، إلا إن الزكاة تطلق على القسم الواجب.

وقد جاءت كثير من النصوص القرآنية التي تحث على إقامة الزكاة، منها ما نلاحظه في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(٣٨)، فجد إن تشبيه المنفقين بحبات كثيرة البركة (تشبيه رائع وعميق، وكأن القرآن يريد أن يقول: إن عمل كل إنسان إنعكاس لوجوده، وكلما اتسع العمل اتسع في الواقع وجود ذلك الإنسان)^(٣٩)، وإن لحظنا أن القرآن الكريم في هذا المثال لم يكن فيه واقعياً، إذ الواقع في حقيقة العملية لا يوجد فيه هذا المصداق من النباتات، فيكون المراد هو (بيان موضوع رضوان الله الذي يكمن في القيام بأي عمل إيجابي في سبيل الله)^(٤٠)، والصدقة من أبرز مصاديق سبيل الله تعالى.

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام السجاد (ع) في حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وكان (ع) يحث على الصدقة؛ وذلك لما يترتب عليها من منافع دنيوية وأخروية كما سوف يأتي علينا من حنايا هذا المطلب، فقد قال أيضاً: (مَا مِنْ رَجُلٍ تَصَدَّقَ عَلَى مَسْكِينٍ مُسْتَضْعَفٍ فِدَاعاً لَهُ بِشَيْءٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ)^(٤١).

ومن أهم الآثار التي تبين فضائل هذه العبادة الجليلة في تربية الإنسان:

أولاً: الامتثال لأمر الله تعالى بغض النظر عن أية فائدة أخرى، قال تعالى: (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)^(٤٢).

ثانياً: الطهارة: وهي أنواع:

١. طهارة لنفس الغني من البخل البغيض (لأن ذوي النفوس الضعيفة يتخذون المال غاية لا وسيلة وتصبح له سيادة على نفوسهم)^(٤٣)، فهي علاج صالح لإزالة مرض حب الدنيا وعبادتها، وكسر شدة الميل إلى المال، إذ إن الإنسان يميل إلى طغيان المال، قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى)^(٤٤).

٢. طهارة لنفس الفقير من الحسد نحو الغني الذي يكتز المال عن عباد الله والذي قال تعالى بخصوصه: (الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ، يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)^(٤٥)، وفي الآية تشنيع على الذين يجمعون المال ويمنعون ما أمر الله تعالى^(٤٦).

٣. طهارة للمجتمع كله: أغنيائه وفقرائه، من عوامل التفرقة والصراع والفتن والهدم وهي بهذا (صيانة للجماعة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً، وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال)^(٤٧)، ولهذا قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)^(٤٨).

٤. وطهارة المال، فالمال يبقى ملوثاً بحق الغير الذي تعلق فيه، ولا يتم تطهيره إلا إذا خرج حق الغير منه كاملاً، قال الإمام موسى بن جعفر (ع): (حصنوا أموالكم بالزكاة)^(٤٩).

فالزكاة تطهر الفرد من تلك الرذائل الأخلاقية والنفسية، وكذلك تطهر المجتمع من التلوث الذي يتولد نتيجة الفقر والتفاوت الطبقي الذي يؤدي إلى وجود طبقة محرومة من الامتيازات، وعليه سيقوى التكافل الاجتماعي في دفع الزكاة، وتنمو وتتطور عجلة الاقتصاد في ظل هذه الفريضة.

يقول الإمام جعفر الصادق (ع): (إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعوقة للفقراء، ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولأستغنى بما فرض الله له، وأن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء)^(٥٠).
ثالثاً: الزكاة تساعد على تربية النفس عن طريق الشعور بالآلام الآخرين، والإحسان إليهم والسعي في إيصال الخير إليهم، ودفع النكبات والأفات عنهم.

رابعاً: تساعد الزكاة على توفير محبة الفقراء للأغنياء، لأن الأنفاق يستدعي حبهم، مما يؤدي إلى الدعاء لهم بالخير والتوسعة، فيصير الدعاء سبباً لبقاء الإنسان في النعمة، يقول الإمام جعفر الصادق (ع): (وحقيق على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته من منع حق الله في ماله)^(٥١).

خامساً: الزكاة سبب من أسباب حصول الألفة والمودة بين المسلمين، وزوال الحقد والحسد الذي يسببه الفقر والتفاوت الطبقي في المجتمع، وبها يحافظ على هوية المسلم من الترهل والانحدار، يقول الإمام جعفر الصادق (ع): (إن الله عز وجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلا بأدائها وهي الزكاة، بها حققوا دماءهم، وبها سمّوا مسلمين...)^(٥٢).

سادساً: الزكاة رافعة للبلاد عن الأمة، يقول الرسول (ص): (إذا مُنعت الزكاة منعت الأرض بركاتهما)^(٥٣)، ويقول أيضاً (ص): (لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وأدوا الأمانة وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقط والسنين)^(٥٤).
فالإنسان بفضل الزكاة يكون بمنجى من اليأس والحزن والهوان، وكانت الحياة كريمة على كل فرد في المجتمع، وكانت الزكاة حلاً يخفف من الأحقاد ويلطف من حدة الصراع ويحقق التآزر بين القادرين والعاجزين، والتاريخ يشهد أن المجتمع الإسلامي عن طريق الزكاة قد نجح في تحقيق السلام بين الطبقات، وتحقيق الكفاية للمحتاجين، وانعدمت صور الفقر والمسكنة في كثير من البلاد.

ففي عهد خلافة الإمام علي (ع) رأى (ع) رجلاً شيخاً كبيراً أعمى يستجدي الناس، فقال (ع): (ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين (ع): استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعمته! أنفقوا عليه من بيت المال)^(٥٥)، فنلاحظ أن الإمام علي (ع) قال: ما هذا؟ ولم يقل: من هذا؟ فالسؤال كان عن وجود تسول في مدينة الكوفة مع أنها كانت تضم أربعة ملايين نسمة يومذاك.

ولا شك أن الإنسان المتمدن في منظور القرآن المجيد هو الإنسان الذي لا يقتصر في كماله على الجانب المعنوي، من دون أن يضم إليه الكمال المادي والقدرة الاقتصادية التي تحفظ للأفراد كرامتهم وتسهل عليهم معاشهم وتمنحهم الرفاهة في العيش والحياة الهانئة، وإنما يدعو إلى مجتمع يتحسس أفراد السعة والرفاهية في العيش وتجاوز مرحلة الحد الأدنى إلى مرحلة التزيين بالنعم الإلهية والتمتع بالطيبات من الرزق، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ تَعْبُدُونَ)^(٥٦). يقول الشيخ الطبرسي: (أي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق)^(٥٧).

فالزكاة تنمية اقتصادية^(٥٨)، وبالتالي فهي علاج حقيقي للفقر، وترويض لمشاعر البخل والشح، ونتيجة ذلك الفلاح، قال تعالى: (وَمَنْ يُوقِ شَحْ نفسه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٥٩)، فر الإنفاق يقي صاحبه من الشح المنهي عنه، فإذا يُسر على المرء الإنفاق فيما أمر الله به، وُقي شح نفسه، وذلك من الفلاح^(٦٠) في الدنيا والآخرة.

ومن الآثار الاقتصادية للزكاة تشجيع الناس على الاستثمار في أموالهم لئلا تأتي عليها الزكاة، وهذا ما يفسر قول النبي (ص): (ألا من ولي يتيماً له مال فليتجر فيه لا يتركه حتى تأكله الصدقة - الزكاة -)^(٦١)، لأن عدم استثمار المال إجمالاً يؤدي إلى كثره، وبالتالي إلى الركود الاقتصادي.

يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (وعن هذا الطريق - أي الزكاة - ضمن الإسلام بقاء المال في مجالات الإنتاج والتبادل والاستهلاك، وحال دون تسلله إلى صناديق الاكتناز والادخار)^(٦٢).

كما أن عملية إعادة توزيع الثروة المتمثلة هنا في الزكاة من شأنها أن تقلل من حدة التفاوت في الدخل، وادخار المال في صناديق الأفراد يؤدي إلى هذا إلى التفاوت الطبقي ومن ثم خلق (أوضاعاً اجتماعية مضطربة وتترسب في العمق الاجتماعي توجهات عدائية وشعور بالكراهية والحقد وقد تصل الأمور إلى الانفجار العام واندلاع حالة من الحرب الأهلية كنتيجة حتمية للتصدع الاجتماعي بسبب التفاوت الطبقي)^(٦٣)، كما أن أداء الزكاة إجراء له تأثيره الكبير في علاج البطالة وزيادة الإنتاج، وزيادة فرص العمل لقطاع كبير من الناس^(٦٤)، ولعل إلقاء نظرة على الآية الكريمة التي تحدد مصارف الزكاة تؤكد لنا أنهم يشكلون قطاعاً كبيراً في المجتمع.

يقول الدكتور إبراهيم الطحاوي: (والزكاة من أكبر عوامل استثمار المال وتنميته وعدم اكتنازه، تلافياً لتلاشي رأس المال وتأكله، بدفع زكاته سنة بعد أخرى إذا لم يقم صاحبه بتنميته واستثماره، ومن ثم تدور العجلة الاقتصادية وتتسع ميادين العمل، ويزداد دخل الأفراد، ويرتفع مستوى المعيشة، ويقضي على البطالة، هذا فضلاً عن عظم أثر حصيلتها اجتماعياً بالنسبة لمجالات مصارفها الثمانية)^(٦٥).

إن هدف التنمية الأساس هو تحسين حياة البشر، فالإنسان هو نواة الجهد التنموي، وهو لب العملية التنموية، لذا يوليه الاقتصاد الإسلامي مكانته الواقعية، فيهدف إلى إصلاح معاش الأفراد، وتحسين مستواهم الاقتصادي والاجتماعي، بما يكفل الحياة الطيبة لهم وفقاً لمقاصد الشريعة.

فعلى الإنسان أن يقوم بتخير كل ما من شأنه تحسين الظروف المعيشية على ضوء مفهوم الاستخلاف^(٦٦)، وتهدف كذلك التنمية الإسلامية إلى إقامة مجتمع يتمتع بأعلى مستويات المعيشة الطيبة، بإزالة جميع المصادر الرئيسية لبقاء التخلف منها الفقر والطغيان، وضعف الفرص الاقتصادية، وكذا الحرمان والقهر الاجتماعي والسياسي^(٦٧)، وتحقيق ذلك يكون في الكفاية لكل إنسان في المجتمع بجهوده الخاصة أو عن طريق ميزانية الزكاة لمن يعجز عن تحقيقه بنفسه، وتحقيق الوفرة الاقتصادية إلى جانب الرفاهية الاجتماعية والسعادة الروحية، وبذلك يتحقق الهدف الأساسي للاقتصاد الإسلامي، وهو استخدام المنجزات الاقتصادية في نشر المبادئ والقيم الإسلامية.

ولكن مما يبعث على الأسف إن بعض المجتمعات الإسلامية اليوم لم تهتم بهذه الفريضة الربانية، وإن أدت سائر العبادات المفروضة، فهي لا تحقق ثمار الاقتصاد الإسلامي الفذة، لأن الرسالة الإسلامية الكبرى لا (تُحقق كل أهدافها من جانب معين من جوانب الحياة، إذا طبقت في ذلك الجانب بصورة منفصلة عن سائر شعب الحياة الأخرى)^(٦٨)، والزكاة ليست مجرد إحسان موكل إلى إيمان الفرد وضميره، ولكنها ضريبة وعبادة يحرسها إيمان الفرد، ورقابة الجماعة، وسلطان الدولة.

ويؤكد الإمام السجاد (ع) على أن تكون الصدقات في السر بحيث يطرح صورة معبرة عن هذه السرية، تصل إلى خفاء الصدقة، حتى عن الأذان والعيون، وقد يبدو أن هذا يرتبط بالصدقة المستحبة وإلغائه لا بأس في دفع الصدقات الواجبة كالزكاة علانية، قال تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ)^(٦٩).

ومن المعلوم إن لكل من الإنفاق العلني والإنفاق الخفي في سبيل الله آثاراً نافعة، ولكل منهما (إيجابيات وفوائد، فمثلاً إن الإنفاق الواجب في العلن ينطوي على حالة حث وتشجيع لأفراد المجتمع في أداء هذا الواجب كما يدفع عن الإنسان الاتهامات حول تنصله من هذه المسؤولية)^(٧٠).

لذلك أكد الإمام على الصدقة واعتبرها ذكراً عند الله للمتصدق وهو إنما يقدمها لنفسه، فإنه يجدها حاضرة يوم لا ينتفع فيه مال ولا بنون.

المطلب الثالث: المرجعية القرآنية في حق عبادة الصوم في فكر الإمام (ع)

- دراسة تربوية تحليلية -

العبادات بشكل عام، والصوم بشكل أخص هي مواسم للمراجعة والتجديد، واستعادة الفاعلية والعودة إلى حالة التوازن التي تكاد تفقد في غمرة الحياة بدوافعها ونوازعها، وهي مراكز التدريب العملي على المعاني الإسلامية، وهنا كان تأكيد الإمام علي بن الحسين السجاد ع على هذه الفريضة العظيمة، فقال ع: (وحق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعتك وبصرك ووطنك وفرجك، ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك)^(٧١).

نعم؛ الصوم عبادة لها دورها في بناء شخصية الإنسان المسلم، وله دور بارز في عملية تهذيب النفوس فهو (مدرسة إيمانية يتربى فيها المرء على مراقبة الله تعالى، ويربى فيها روحه على مراقبة الله تعالى، ويربى فيها شهوته على ترك المباحات ليكون ذلك معيناً له على ترك المعاصي، فإن الصوم كما قيل يعصم الشهوة)^(٧٢)، وهو أيضاً (تحفيز النفس وشحذها على الامتناع والإحجام عما نهى المكلف عن الإتيان به)^(٧٣).

فالصيام سباق نحو الله تعالى يخوضه الإنسان، وهذا المعنى نلحظه في قول السبط الإمام الحسن المجتبي (ع) عندما يقوم يوم العيد والناس يضحكون، فقال (ع): (إن الله تعالى جعل شهر رمضان مضمراً لخلق، يستبقون فيه لطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء عن أسأته)^(٧٤)، وإن كان ظاهر الصوم نوعاً من التضييق والتحديد، إلا أن الغاية هي إرادة اليسر من الله تعالى لعباده لا العسر، وهو الواضح في قوله سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)^(٧٥).

يقول الشيخ الشيرازي: (ولعل هذه العبارة إشارة إلى أن الأوامر الإلهية ليست كأوامر الحاكم الظالم، ففي الصوم رخص حيثما كان فيه مشقة على الصائم، لذلك رفع تكليف الصوم على أهميته عن المريض والمسافر والضعيف)^(٧٦)، والآية في دلالتها تشريع لليسر على الإنسان، ليخفف عن نفسه شاء أم أبى، بل هو أمر منه سبحانه للإنسان بالإفطار، وعدم الصيام في الحالات المذكورة المتقدمة)^(٧٧).

وعلى كل حال فالإسلام لا يُريد من الصوم أن يكون حالة جسدية فقط بل حالة روحية ونفسية وسلوكية فالصوم وسيلة تربوية لبناء الفضائل، ودلالة ذلك واضحة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(٧٨)، فمن استهلال الآية نلحظ ذلك النداء التربوي (يا أيها الذين آمنوا) الذي يستشعره المؤمنون؛ لأن الله سبحانه شرفهم وخطبهم بهذه الصفة المحببة لقلوبهم، ومنعشة لأفئدتهم، وفي هذا الاستهلال قال الإمام جعفر الصادق (ع): (لذة ما في النداء - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا - أزال تعب العبادة والعناء)^(٧٩)، هذا النداء لذة لهم، وتطيب النفوس المخاطبة به (ومن ثم يبدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين المذكر لهم بحقيقتهم الأصلية، ثم يقرر لهم بعد ندائهم ذلك النداء، إن الصوم فريضة قديمة في كل دين وأن الغاية الأولى هي إعداد قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله)^(٨٠).

وقد قضى الإمام السجاد(ع) معظم أيام حياته صائماً، وقد قالت جاريته حينما سُئلت عن عبادته: (ما قَدَّمْتُ له طعاماً في نهار قط)، وكان(ع) لا يفطر إلا في يوم العيدين أو مما كان له عذر^(٨١).

وعلى ضوء ما تقدم تتجلى آثار الصوم في بناء الإنسان في ما يأتي:

١. **ترسيخ التقوى:** بعد تأكيد الحكم على المؤمنين، نلاحظ كما تقدم أن وراء هذه المشقة قصداً، وأنه ليس للامتحان فقط إنما هو رياضة وتربية وإصلاح وتركية، ومدرسة خُلُقِيَّة يخرج منها الإنسان فاضلاً كاملاً يملك نفسه وشهوته، لذلك قال الله تعالى: **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**^(٨٢).

وكما تقدم في بيان منزلة الصيام في أنها تكمن في التقوى، يقول سيد قطب: (وهكذا تبرر الغاية الكبيرة من الصوم... إنها التقوى... فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي التي تؤدي هذه الفريضة، طاعة الله، وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها وميزانها، ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون به عن طريق الصيام **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**)^(٨٣)، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصل إليها.

٢. **المراقبة والإخلاص:** اتضح أن الهدف من الصوم ليس الحرمان من الطعام والشراب وحسب، بل تكمن وراء ذلك حكمة سامية هي غرس مبدأ المراقبة والصبر والعزيمة، وبهذه الصفات العالية يتصدى الصائم لجميع حوادث الدهر وعقباته، ويعده إعداداً نفسياً لتقوى الله سبحانه فيترى على ترك المحرمات والنهوض بالطاعات والثبات على العبادة، فالمراقبة والخوف من الله تعالى يخلق في نفس الصائم وازعاً دينياً يمنع التفكير في الجرائم والشور، لأنه يمنع من داخل نفسه، ولذلك يفعل الوازع ما لا تقعله القوة والسلطان لأنه يغرس المراقبة الذاتية في نفس الإنسان ليقينه بأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية: **(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)**^(٨٤).

فلنلاحظ أن الإنسان الصائم ينفرد بالطعام والشراب وهو جائع لا يمنعه منه إلا إيمانه العميق ووازع الذاتي المبني على الإخلاص العبادي، لذا يجب أن يكون الشعور بالمراقبة شعوراً فردياً شخصياً داخلياً من الإنسان نفسه، وبعيداً عن أي رادع أو وازع خارجي، فمراقبة الإنسان الداخلية على نفسه هي التي تبني مساره في الحياة، وأن هذا الشعور بالمراقبة الداخلية مما لا يمكن أن تبلغ إليه أي رقابة خارجية أخرى لسلطان أو قانون.

يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (إن الضمانات الموضوعية لها دور كبير في السيطرة على سلوك الأفراد وضبطه، فإنها لا تكفي في أحيان كثيرة بمفردها ما لم يكن إلى جانبها ضمان ذاتي، ينبثق عن الشعور الداخلي للإنسان بالمسؤولية؛ لأن الرقابة الموضوعية للفرد مهما كانت دقيقة وشاملة لا يمكن عادة أن تضمن الإحاطة بكل شيء واستيعاب كل واقعة)^(٨٥).

فالرقابة الداخلية النابعة من هذه العبادة لها دور مهم في بناء الإنسان خارجياً، إذ سرعان ما تنعكس على ظاهره، ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا)**^(٨٦)، فدلالة هذه الآية الكريمة على أن التغيير الداخلي للإنسان يسهم بدور كبير في تغيير بناء الأمة، ومن الخطأ بين الناس أن التغيير والإصلاح إنما يحدث ويبدأ من المجتمع نحو الأفراد، بل إن عملية البناء والتغيير إنما تحدث من الأفراد أنفسهم متجهة نحو الآخرين، وبتطافر الجهود الفردية واجتماعها تحدث عملية البناء والتغيير الاجتماعي للأمة، وبالتالي متى ما يحدث التغيير الداخلي يحدث التغيير الخارجي، فإن كان خيراً فخير أو شراً فشر^(٨٧).

وكذلك ما نلاحظه في قول الرسول (ص): **(من أصلح باطنه أصلح الله ظاهره)**^(٨٨). وبذلك تترى النفس الإنسانية على الإخلاص ظاهراً وباطناً، خشية وقوع التغيير في نعم الله تعالى عليها، إذا ما هي انحرفت وزاغت، فاستشعار مراقبة الله تعالى من السمات الروحانية المستهدفة من عبادة الصيام، إذ إن قبول العمل شراً يتوثق تحقيقه على تلك الخصوصية الخطرة في الشرع.

قال تعالى: **(لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)**^(٨٩)، وإن بناء الرقابة في الإنسان من أهم تجليات مظاهر التقوى في عبادة فريضة الصيام، وأبرزها أثراً وأعظمها شأنًا، وأعلاها شرفاً، ويعمل محمد رشيد رضا، سبب هذه الأهمية والمكانة للرقابة في هذه العبادة إلى أنه: (أمر موكل إلى نفس الصائم لا رقيب عليه إلا الله تعالى، وسرٌّ بين العبد وربّه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان - كل المباحات من مأكّل ومشرب وجماع ف - لولا إطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشدّ التوق لها)^(٩٠).

ولتعزيز بناء المراقبة الداخلية في الإنسان يحتاج إلى استمرار في العبادة، فهي مما يحفز الشعور بوجود المطلق سبحانه، وهذا المران يُكيف النفس الإنسانية على أن الموفي للأجر والعطاء لا تخفى عليه خافية مهما صغرت (ف المران العملي الذي ينمو من خلاله هذا الشعور الداخلي بالمسؤولية يتحقق عن طريق الممارسات العبادية، لأن العبادة واجب غيبي، ونقصد بكونها واجباً غيبياً أن ضبطها بالمراقبة من الخارج أمر مستحيل، وإنما الرقابة الوحيدة الممكنة في هذا المجال هي الرقابة الناتجة عن الارتباط بالمطلق بالغيب، الذي لا يعزب عن علمه شيء)^(٩١).

وبهذا المران على العبادات وعبادة الصيام خصوصاً من ترك ما اعتاده في غير أيام الصيام، فإن هذا الإنسان (لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه، وفي هذه

المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى، والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر مُعد للنفس، ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، ولسعادتها في الآخرة^(٩٢). فلا تقف بالتالي هذه المراقبة على مراعاة الله □ في المأكل والمشرب، وفي شهر من الشهر أو يوم من الأيام، بل تتعدى كل مواقف الإنسان وفي كل سكناته وحركاته، وهذا هو مقصد البناء العبادي لهذه الفريضة.

٣. ومن ثمار عبادة الصيام التضرع والدعاء، ولا شك أن الصائم أقرب الدعاة استجابة، وذلك لانعكاس تلك الفريضة تربوياً على نفسه إيماناً وتقوى وإنابة، وعلى سلوكه حباً للطاعة والدعوة في إطار إيجابية الأداء، ونلاحظ التوجيه إلى ممارسة الدعاء من خلال قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَاتِّبِ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^(٩٣)، إذ يبرز البناء العبادي على طاعة الدعاء من مجيء هذه الآية في آيات الصيام، لأن فريضة الصيام تدفع الإنسان نفسياً إلى التعلق بالدعاء لما تقدم من استشعاره بالقریب المطلق سبحانه، فضلاً عن أن فريضة الصيام تسهم في رفع روحانية نفسه، وسموها مما يؤثر تأثيراً ملحوظاً في إقبال الإنسان على الدعاء، فكانت الدعوة واضحة إلى الدعاء في سياق آيات الصوم، يقول ابن كثير: (في ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عن إكمال العدة، بل عند كل فطر)^(٩٤)، ومما يلفت النظر في الآية الكريمة أيضاً، أن الله تعالى أشار إلى ذاته المقدسة سبع مرات وأشار إلى عباده سبعاً مجسداً بذلك غاية لطفه وقربه وارتباطه بعباده، فلا يقتصر الدعاء على طلب استجابة الحاجات، بل هو أيضاً لتحقيق هذا الارتقاء والارتباط بالمطلق سبحانه (وأي مطلوب نفسي أعظم منه مع كونه من الانقطاع إلى الله ومظهر العبودية المحضة لله تعالى)^(٩٥).

وقد أكدت آيات قرآنية كريمة على أهمية الدعاء والحث عليه، ووجوب تعلق قلب الإنسان بالله سبحانه وحده، وان (الآيات كثيرة في هذا الباب فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن)^(٩٦).

وأكد أئمة أهل البيت (ع) أهمية الدعاء، وضرورة الالتزام به، يقول الإمام جعفر الصادق (ع): (الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله □ إلا بالدعاء وإنه ليس باب يُكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه)^(٩٧)، ويقول الإمام الرضا (ع): (عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: ما سلاح الأنبياء؟ قال (ﷺ): الدعاء)^(٩٨). وقد خص الصيام في شهر رمضان المبارك وغيره بأدعية ماثورة أوضح الأئمة (ع) أهميتها وأثرها، فهذه الأدعية تعد (امتيازاً لمدرسة أهل البيت (ع)، وتأكيداً لعلمهم وإمامتهم ودورهم في الحياة الإسلامية، وتوضيحاً لمنهجهم في بناء الجماعة الصالحة والأهداف السامية لهذا البناء، ومنها إيجاد هذه الجماعة المتكاملة في جانبها الروحي والمعنوي)^(٩٩)، فتتعرز علاقة الإنسان بالمطلق سبحانه لأن الإنسان بطبيعته وفطرته مشدودة إليه سبحانه، لأن علاقته بالمطلق تمثل أحد مقومات نجاحه وتغلبه على مشاكله في مسيرته الحضارية، وهو بحاجة إلى سلوك عملي يعمق هذه العلاقة ويوثقها بدلاً من أن تضع أدرج الرياح (فبدون سلوك عميق قد يضمحل هذا الشعور ولا يعود الارتباط بالمطلق حقيقة فاعلة في حياة الإنسان، وقادرة على تفجير طاقاته الصالحة)^(١٠٠)، ويشد من أواصر القرب الإلهي فهو نوع من أنواع (التوعية وإيقاظ القلب والعقل، وارتباط داخلي بمبدأ كل لطف وإحسان)^(١٠١).

فالإنسان الذي يكون قلبه مشغولاً بغير الله □، يكون بعيداً عن تقبل الله سبحانه لدعائه، ولو اجتهد ظاهره، وبالتالي يحرم من استجابة ذلك الدعاء أو حصول الأجر فيه. يقول الإمام علي (ع): (لا يقبل الله □ دعاء قلب لاه)^(١٠٢). وعن الإمام جعفر الصادق (ع): (إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة)^(١٠٣).

فنلاحظ أن الله سبحانه ختم آية الدعاء بـ (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)، فيها دلالة واضحة على أن يكون تطبيق الإنسان للأمر الإلهي بتوجه من القلب المفعم بالإيمان المطلق بصاحب الأمر، لا على وجه الإسقاط وحسب، بل (بالجمع بين الإذعان للأمر والنهي، والرشد والرشاد، ضد الغي والفساد فعلمنا أن الأعمال إذا لم تكن صادرة بروح الإيمان، لا يرجى أن يكون صاحبها راشداً مهدياً، فمن يصوم اتِّباعاً للعادة وموافقة للمعاشرين، فإن الصيام لا يعده للتقوى ولا للرشاد، وربما زاده فساداً في الأخلاق وضراوة بالشهوات، لذلك يذكرنا تعالى – في أثناء سرد الأحكام – بان الإيمان هو المقصود الأول في إصلاح النفوس، وإنما نفع الأعمال في صدورنا عنه وتمكينه إياها)^(١٠٤).

وبكلمة: أكد القرآن الكريم (أهمية الدعاء في رمضان وللصائمين فيه وان رمضان من الأزمان المباركة التي تستجاب فيه الدعوات لا سيما ليلة القدر وساعة الإفطار للصائم)^(١٠٥)، وان لهذه الاستجابة شروط ظاهرية وقلبية يجب أن يتحلى بها الإنسان عند مباشرته لهذه العبادة العظيمة، وهذا بطبيعة الحال لا يُغنينا عن التوسل بالعوامل الطبيعية، ليحدث بذلك تغيير كبير في حياة الإنسان وتجديد لمسيرته، وإصلاح لنواقصه سواء أكان في أيام الصيام أو في سائر أيامه الأخرى.

وكان الإمام السجاد (ع) يناجي ربه ويدعوه بتضرع وإخلاص في سحر كل ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزة الثمالي؛ لأنه هو الذي رواه عنه، وهو من غرر أدعية أهل البيت (ع) وهو يمثل مدى إنابته وانقطاعه إلى الله تعالى، كما أن فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها، كما يمتاز بجمال الأسلوب وروعة البيان وبلاغة العرض، وفيه من التذلل والخشوع والخضوع أمام الله تعالى، ما لا يمكن صدوره إلا عن إمام معصوم.

وعلى مستوى البناء الاجتماعي للإنسان نلاحظ أثر الصوم فيه، إذ يجعل من هموم الفقراء والبؤساء تجربة حية يعانيتها الأغنياء بأنفسهم لتتحرك المأساة في أجسامهم وضمانهم، يقول الإمام جعفر الصادق (ع): (إنما فرض الله الصيام ليستوي فيه الغني

والفقير، وذلك أن الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله تعالى أن يسوي بين خلقه، وأن يذيق الغني مسّ الجوع والألم ليرق على الضعيف ويرحم الجائع^(١٠٦).

وهذه هي حقيقة من حقائق فريضة الصيام، إذ إن (فلسفة الإمساك لم تحد بحدود الطعام والفرج، إذ الصوم سلاح الإيمان لقتل شيطان النفس، وتهذيب الروح، وهي عبادة تورث الوقاية، وتعمق محاسبة الإنسان لذاته من منطلق مسؤوليتها أمام الله عز وجل)^(١٠٧).

وكذلك للصيام الحقيقي آثار واضحة في تنمية التكافل الاجتماعي، ويظهر ذلك من خلال زكاة الفطرة التي هي من أبرز وأوضح صور التكافل الاجتماعي التي يفرزها ويتركها شهر رمضان المبارك، حيث أوجب الله في نهايته على المسلمين زكاة الفطر، يقول الإمام جعفر الصادق (ع): (إن من تمام الصوم إعطاء الزكاة - يعني الفطرة - كما أن الصلاة على النبي (ص) من تمام الصلاة، لأنه من صام ولم يؤد الزكاة فلا صوم له إذا تركها متعمداً، ولا صلاة له إذا ترك الصلاة على النبي (ص)، إن الله عز وجل قد بدأ بها قبل الصلاة، قال: (فَدَأْفَلْحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى))^(١٠٨).

وعلى المستوى الصحي مما لا يخفى أثره في بناء جسم الإنسان، وقد عنيت بحوث متخصصة أجاد باحثوها^(١٠٩)، على ان الحقيقية المتيقن منها أن الله سبحانه لا يأمر أو ينهى عن شيء إلا وفيه حكمة ومصلحة للإنسان سواء أكانت المصلحة متحققة في الدنيا أو مؤجلة للأخرة؛ وما يؤكد أهل الاختصاص فيركن إليه للاستيناس ليس إلا، فالصيام في القرآن عبادة يجب الامتثال بها لأمر الخالق العظيم، ولا يجوز تعليقها بما يكشفه لنا العلم، فمجال العلم، مهما ارتقى محدود، ولا يمكن له أن يستوعب كامل حكمة الله^(١١٠) سبحانه وتعالى.

وفي هذا المعنى يقول سيد قطب: (ذلك كله إلى جانب ما ينكشف على مدار الزمن من آثار نافعة للصيام في وظائف الأبدان، ومع إنني لا إميل إلى تعليق الفرائض والتوجيهات الإلهية بما يظهر للعين من فوائد حسية، إذ الحكمة الأصلية فيها هي إعداد الكائن البشري لدوره على الأرض، وتهيبته للكمال المقدر له في الحياة الآخرة.. مع هذا فاني لا أحب أن انفي ما تكشف عنه الملاحظة أو يكشف عنه العلم من فوائد لهذه الفرائض، وذلك ارتكازاً إلى المفهوم من مراعاة التدبير الإلهي بهذا الذي ينكشف عنه العلم البشري، فمجال هذا العلم محدود لا يرتقي إلى اتساع حكمة الله في كل ما يروض به هذا الكائن البشري..)^(١١١)؛ ويكتفي الباحث هنا في الدلالة على أثر الصوم في البناء المادي لجسم الإنسان بقول الصادق الأمين النبي (ص): (صوموا تصحوا)^(١١٢)، فهو كلام جامع مشعر بعموم الصحة.

إن للصيام الحقيقي أثر واضح في بناء الإنسان، وله بهذا فوائد عديدة، منها ما نلمسه ومنها ما سوف تكشفه الأيام وعلى مستويات الإنسان كافة، فهو يزيد من حماس الإنسان المسلم لدينه وعقيدته والاهتمام بمصالح أمته، وترابط مجتمعه ونشر الألفة والمحبة بينهم، ذلك أن صيام شهر رمضان مدرسة متميزة يفتحها الإسلام كل عام للتربية العملية على أعظم القيم وارتفاع المعاني فمن اغتنمها وتعرض لنفحات ربه فيها فأحسن الصيام والقيام فقد نجح في الامتحان وخرج من هذا الموسم رابح التجارة مبارك الصفقة.

فلاحظ بجلاء المرجعية القرآنية في فكر الإمام السجاد ع وفي انعكاسات تربوية في مدرسة الصيام العظيمة المتخصصة في تزكية النفوس، والسمو بالأرواح إلى معالي الأمور ومحاسنها، إن أعظم معاهد التعليم والثقافة والفلسفة عجزت عن تخرج ما خرج الصوم، وتهذيب ما هذب، ولا غرو فهي شريعة الله الخالدة التي صنعها يد العليم بالنفوس الخبير بالطبائع. يقول السيد محمد حسين فضل الله: (إن قضية الصيام، هي أن تكون إنسان الله، بدلاً من أن تكون إنسان الشيطان... إن تعرف كيف تعيش سكيناً الروح وطمانينة القلب، بدلاً من أن تحترق بنار الشهوة... وسعار الأطماع)^(١١٣). ومن ثم فهو سبحانه يبني الإنسان وفق منهج متكامل الأبعاد من خلال فريضة عبادة الصيام فهي مدرسة روحية وخلقية واجتماعية وصحية يتزود منها الإنسان الصائم ما يحتاجه في حياته كلها، وفي كل شؤونها ومسؤولياتها نحو نفسه، ونحو خالقه ونحو أسرته فهو بناء متكامل.

المطلب الرابع: المرجعية القرآنية في حق عبادة الحج في فكر الإمام (ع)

- دراسة تربوية تحليلية -

العبادات من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى، وتتجلى أهمية العبادات في أن يباشرها الإنسان بنفسه ليتحقق الأثر التربوي منها سواء الإيمانية منها أو الأخلاقية أو الاجتماعية، فيستشعر في أثنائها قدرة الخالق وجلاله وعظمته، ويتذوق حلوة معانيها مع كل حركة أو كلمة أو خطوة أو نفقة.

هكذا أراد الخالق للعبادات أن تكون، تباشر الذات وتسكب فيها العبرات، وتشد إليها الرحال والعبادة كما هو معلوم أنواع منها ما هو مالي محض كالزكاة، ومنها ما هو بدني كالصلاة والصيام، ومنها ما هو قلبي وقلبي، مثل شهادة التوحيد التي هي ذكر وإقرار بالقلب، ومنها ما يجمع كل ذلك كعبادة الحج؛ وفي هذا المعنى يقول السيوري (ت: ٨٢٦هـ): (والحج من أعظم أركان الإسلام وأفضلها؛ لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتباع البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله)^(١١٤).

ويظهر من سياق رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) أنه يشير إلى الحج كفريضة واجبة ولذلك أورد هذا الحق في قسم الفرائض من رسالته، يضاف إلى ذلك فإن ما ذكره الإمام في هذا الحق ينسجم مع الحج كفريضة والهدى مفردة بارزة من مفرداتها. قال الإمام السجاد ع: (وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك)^(١١٥).

والمرجعية القرآنية من المباني الأصلية في فكر الإمام السجاد ع سواء في مورد ذكر حق الحج ضمن موارد رسالة الحقوق أو في موارد أخرى من كلامه الشريف، إذ كان الإمام السجاد (ع) يحنّ على الحج والعمرة إضافة إلى ما أبداه من حقوق هذه الفريضة بقوله: (حَجُّوا وَاَعْتَمَرُوا تَصِحَّ أَجْسَامُكُمْ، وَتَتَسَّعَ أَرْزَاقُكُمْ، وَيَصِلِحَ إِيْمَانُكُمْ، وَتَكْفُوا مَوْئِنَةَ النَّاسِ وَمَوْئِنَةَ عِيَالِكُمْ)^(١١٦).

وفي أهمية عبادة الحج في الدين الإسلامي وكونه فريضة لها أبعادها، نلاحظ إن (الحج من العبادات الإسلامية التي أرادها الله للناس، ليحققوا من خلالها النظرة الشاملة لقضية الإنسان في الحياة، فقد جعله الله فريضة على كل من استطاع إليه سبيلاً، واعتبر تركها خروجاً على عمق الالتزام الإسلامي، حتى جعل التارك لها في حكم الخارج عن الإسلام)^(١١٧). ولعبادة الحج أهداف عظيمة وثمار ناضجة لمن أقام هذه الفريضة بشرطها وشروطها وبطبيعتها الحال فإن الجاني لهذه الثمرة والمتأثر بما تتركه من آثار هو الإنسان وحده لا غير، فإله سبحانه غني عنه وعنهما، قال سبحانه في ذيل آية فرض عبادة الحج: (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)^(١١٨)، فالذين يتجاهلون هذا النداء، وينكرون هذه الفريضة ويخالفونها لا يضررون بذلك إلا أنفسهم لأن الله غني عن العالمين، فلا يصيبه شيء بسبب إعراضهم ونكرهم وتركهم لهذه الفريضة... وعلى كل حال فإنه يستفاد من هذه الآية أمران:

الأول: الأهمية الفائقة لفريضة الحج، إلى درجة أن القرآن عبّر عن تركها بالكفر....

الثاني: إن هذه الفريضة الإلهية المهمة – مثل بقية الفرائض والأحكام الدينية الأخرى – شرعت لصالح الناس، وفرضت لغرض تربيتهم، وإصلاح أمرهم وبالهم أنفسهم، فلا يعود شيء منها إلى الله سبحانه أبداً، فهو الغني عنهم جميعاً)^(١١٩).

وسوف نقف في هذا المطلب على أبرز معالم البناء الذي تحدّثه فريضة الحج في الإنسان المقيم لها، وعلى النحو التالي:

أولاً: الحج امتثال لأمر الله تعالى – كسائر العبادات – فالشارع قد أمر بالحج على سبيل الفرض، وما على العبد إلا أن يمتثل أمر الشارع في كل ما أمر، بغض النظر عن أي فائدة متوخاة منه، وبهذا فالحج طريق لتحقيق نيل العبد رضا الله ومغفرته بسبب امتثال أوامره واجتناب نواهيهِ امتثالاً يعلن الخضوع والهيبة والخشوع، فالحج رياضة للوجدان على طاعة الرحمن)^(١٢٠).

والحج بهذا الامتثال إخلاص لله سبحانه، فهو تحقيق للتوحيد والبراءة من الشرك، لأن الله تعالى ما أمر ببناء البيت إلا لذلك، قال سبحانه: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)^(١٢١)، فقوله تعالى: (أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) أي لا تجعل في العبادة لي شريكاً، ولا تشرك أي غرض آخر في بناء البيت، ليكون خالصاً للذين يعبدون الله وحده لا شريك له، (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) هو تطهير من الشرك والأوثان)^(١٢٢).

والظاهر أن سبب عدم الوقوف على معرفة الحكمة والغيبية في كثير من الأعمال العبادية ومنها مناسك الحج خصوصاً هو تأكيد لجانب الإخلاص لله تعالى من دون إشراك دافع آخر فيها، والتزام الطاعة الخالصة، وهذا ما يلفت نظرنا إليه السيد الشهيد محمد باقر الصدر في قوله: (إذا كان العمل الذي يمارسه العابد مفهوماً بكل أبعاده واضح الحكمة والمصلحة في كل تفاصيله تضاعف فيه عنصر الاستسلام والانقياد، وطغت عليه دوافع المصلحة والمنفعة، ولم يعد عبادة لله بقدر ما هو عمل نافع يمارسه العابد لكي ينتفع به ويستفيد من آثاره)^(١٢٣).

ثانياً: البعد الروحي: للعبادات المفروضة في الإسلام غايات سامية - كما تقدم - في تقويم وتربية وتهذيب وإصلاح الإنسان، وفريضة الحج كسائر للعبادات المفروضة، فهو نبع حركي لهذه الغايات السامية والتي من مظاهرها:

- بذل الجهد والمال، وفيه عنوان بارز لعملية الإيثار وكسر الأنانية في النفس، وتطهيرها من رذيلة البخل، فموسم الحج فيه حث على العطاء المباشر سواء على جانب القدرة والطاقة أو على جانب الإنفاق المالي، وهذا بالتالي يروض النفس على عدم الاتكال على الغير في تيسير أمورهم، واستشعار لفضية الكرم وهم لحاجز الحرص الممقوت الذي تهواه النفس.

- حرمة الجدل في الحج، تربي الإنسان على تجاوز الذات وعدم اندفاعات النفس إلى رغباتها، فالجدل مما يحق به الإيمان، ويطفئ وهج الروح الإنسانية، مما يخلفه فيها من قسوة جراء المماراة وحب الغلبة والظهور، ولا يرد هنا بطبيعتها الحال الجدل الذي مدحه القرآن المجيد في قوله تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(١٢٤)، وإنما الجدل المفضي إلى الخصومة والشحناء وما تقدم من آثار ظلامية على الروح.

يقول الشيخ حيدر حب الله: (ويجب أن يعرف نهاية أن الجدل كما فسرناه بمعنى النزاع والخصومة لا يشمل الحوار والحوارات العلمية والفكرية... الهادئة حتى لو لم نأخذ الصيغتين بعين الاعتبار، فلا ينبغي الخلط بين مفهوم الجدل في اللغة العربية وبين مفهوم الحوار الهادئ الذي يضارعه في المصطلح القرآني الجدل بالتي هي أحسن من بعض الوجوه)^(١٢٥).

بذل الأضحية وما تحويه من أحساس بالمسؤولية وتمارين النفس على الانضباط الدقيق أمام الله سبحانه واستشعار الرقابة الغيبية، يقول تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ)^(١٢٦)، فالغاية من الهدى هو التقرب إلى الله

سبحانه، وإلا فإنه عز وجل غني عن الحج كلياً - كما تقدم - ولكن هذه الشعائر إنما هي تنفيذ لأوامره وشحن للتقوى بظهر الغيب، والربط بين الهدى الذي ينحرفه الحاج وتقوى القلوب، إذ إن التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره، وهذه المناسك والشعائر إن هي إلا رموز تعبيرية عن التوجه إلى رب البيت وطاعته. وقد تحمل في طياتها ذكريات قديمة من عهد إبراهيم (ع) وماتلاه. وهي ذكريات الطاعة والإنابة، والتوجه إلى الله منذ نشأة هذه الأمة. فهي والدعاء والصلاة سواء^(١٢٧) في استشعار الرقابة الغيبية عند الإنسان.

مراسم الإحرام، حيث تبعد الإنسان بشكل تام عن المتعلقات المادية والامتيازات الجوفاء، وتطلعه إلى عالم الصفاء في سباحة روحية إذ (يحرم النفس عن المشتبهات ويوقفها عن كافة الشهوات ويطرح عنها كلّ مشتبه وحرام عند خلعه الثياب عن الأبدان)^(١٢٨)، وعند هذا تستمد الروح غذاءها الطبيعي فتنتهل من خلال هذه الرياضة ما يكون رصيماً لها للديمومة على هذا الحال من التوجه إلى الله تعالى في سائر أيام العمر المتبقية.

يقول الشيخ محمد مهدي الأصفى: (وقد أفاد الحج الحجاج ضبط النفس بدرجة عالية، وبمقاييس واسعة وكبيرة في محرمات الإحرام، منذ لحظة التلبية إلى أن يخرج من حالة الإحرام. وإذا كان الحاج قد تحلّل من محرمات الإحرام بعد السعي، وطواف النساء والوداع، فإنّ خزير التقوى وضبط النفس الذي اكتسبه الحاج في هذه الدورة المكثفة يبقى معه)^(١٢٩). إذن لدورة الإحرام الغنية بالمعطيات تأثير كبير على بناء الشخصية الإنسانية، تشاهد نتائجها العملية الرائعة في المجتمع المعتمد والملتزم بمحتوى عبادة الحج والزيارة.

رابعاً: البُعد السياسي: يُعد بيت الله الحرام مقرّ الاجتماع العالمي السنوي لكل مسلمي العالم (مسجد الحرام والمسجد الأخرى في زمان رسول الله الأكرم (ص) كانت مراكز عسكرية وسياسية واجتماعية ولم يكن مسجد رسول الله (ص) لأجل الأمور العبادية فقط كالصلاة والصيام، بل كانت المسائل السياسية هي الأغلب، فكانت الأمور التي تتعلق بإرسال الرجال إلى الحرب وتعبئة الناس إنما تبدأ من المسجد في أي وقت يحتاجون فيه لذلك)^(١٣٠).

إلا أن اللافت للنظر في هذا العصر هو أن أهم ما يميز المسلمين هو اختلافهم وتفرقهم، وانعدام الوحدة الداخلية بينهم، على الرغم من وجود وسيلة وركن هام يجمعهم في مكان واحد إلا وهو الحج، فكان ينبغي أن يكون الحج بمؤتمره السنوي العالمي وسيلة قوية ودافعاً هاماً لاتحاد المسلمين، بحيث تذاب كل الخلافات التي بينهم، وسبب ذلك كله هو أن الحج أصبح اليوم تجمّعاً تقليدياً فقط، بدلاً من أن يكون مؤتمراً حياً لحملة رسالة عظيمة، بحيث تتطلب الوحدة أن يوجد بين الناس هدف مشترك يركز أنظارهم وتوجهاتهم نحو الهدف الأعلى، فتوجهات الناس اليوم تنشتت في قضايا تافهة، عندما يخفتي الهدف الأعلى عن الأنظار، ويُفَرِّغ الحج من محتواه، وتتطاول الأيدي الخبيثة لتجسيم الدور العظيم لهذه الفريضة واقتصارها على البُعد العبادي الشكلي من دون البُعد السياسي لها.

يقول السيد روح الله الخميني: (إن إحدى أكبر فلسفات الحج هي البُعد السياسي الذي تسعى أيادي الجناة لاقتلعه واجتثاته من كافة جوانبه وهم يعملون على ذلك، وللأسف إن دعايات وتبليغات هؤلاء قد أثرت على المسلمين، حيث أصبح الكثيرون من المسلمين يعتبرون أن السفر إلى الحج عبارة عن عبادة جافة وصعبة وخالية من أي تفكير بمصالح المسلمين، إن الحج منذ ذلك اليوم الذي جعل فيه، لم يقل بُعد السياسي أهمية عن بُعد العبادي أبداً، وإن البُعد السياسي بنفسه عبادة، إضافة لكونه سياسة)^(١٣١).

وإذا كان الأمر كذلك فهم لن يتحدوا فيما بينهم مهما عُقدت المؤتمرات الكبرى، ما لم يوحدوا هدفهم نحو الدعوة إلى الله سبحانه، وهذا هو الهدف الأعلى للأمة الإسلامية، عندئذٍ سيصبح مؤتمر الحج وسيلة لتحقيق الوحدة العالمية بين كافة المسلمين في جميع أنحاء الأرض، مستلهمين هذا البُعد من أرض الأنبياء (ع) ومشروعهم السياسي تحت لواء كلمة التوحيد و(إثبات الحاكمية الإلهية في الحياة ونفي لكل معاني الطاغوت والتجبر، ومن هنا أعلن القرآن الكريم: أن كلّ الأنبياء (ع) طالبوا أمهم بأمرين: (عبادة الله، واجتناب الطاغوت)، فقال سبحانه: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)^(١٣٢) (١٣٣). يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (فأساس دعوة جميع الأنبياء واللبنة الأولى لتحركهم هي الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الطاغوت، وذلك لأن أسس التوحيد إذا لم تحكم ولم يطرد الطواغيت من بين المجتمعات البشرية فلا يمكن إجراء أي برنامج إصلاحية)^(١٣٤).

ولا غرو فإن الإسلام هو الامتداد الطبيعي للأديان السماوية الحقّة، وإن حركة الأنبياء (ع) مشروع إصلاحية ودعوة إلى البناء العالمي، والحج معلّم واضح لتلبية هذه الدعوة العالمية، وبالتالي سيصبح الحج هو المركز الأساس للدعوة الإسلامية، لذلك ينبغي تسخير الحج كمركز للتخطيط العالمي للدعوة الإسلامية، وتحقيق الوحدة السياسية على أساس وحدة الهدف والقول والعمل في فريضة الحج.

خامساً: البُعد الاجتماعي: في موسم الحج تُصقل الخبرات الاجتماعية عند المسلمين، ويساعد على ذلك هذا التوحد المنتظم في المكان والزمان والشروط، فيتعلم المسلمون الوافدون من أنحاء الأرض العادات والتقاليد الاجتماعية التي تؤدي حتماً إلى تقارب وجهات النظر الفردية والجماعية، وعندما نستعرض آيات الحج في القرآن الكريم منذ أن رفع الخليل إبراهيم (ع) القواعد من البيت، نجد اهتماماً كبيراً بحضور الناس في هذا البيت وفي هذا الموسم، وأبلغ ما في ذلك تعبير القرآن عن بيت الله تعالى بأنه

بيت الناس: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)^(١٣٥)، فأول خصيصة ذكرها لهذا البيت هي الشمول إذ وضعه الله للناس ولم يجعله لفئة دون فئة، لأنه وُضِعَ لعبادة الله التي لا يختص بها أحد، فلا معنى لاختصاصه بأحد معين، وقد نستوحي منه ان لا تشير المساجد لتكون لعائلة معينة أو لجماعة معينة، بحيث تُمنع منها بقية العائلات أو الجماعات؛ لان المسجد لم يوضع ليتحدد، بل ليكون شاملاً لكل الناس تبعاً لشمولية دوره في أن يكون محلاً لعبادة الله رب العالمين)^(١٣٦).

وفي دعاء إبراهيم (ع) نجد أنه (ع) عندما أودع أهله وذريته بهذا الوادي الفاحل غير ذي زرع، دعا الله تعالى أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)^(١٣٧)، فنلاحظ رقة التعبير في (تصور القلوب رفاقة مجنحة، وهي تهوى إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب، إنه تعبير ندي يئدي الجذب برقة القلوب...)^(١٣٨).

ومن ثم يتحقق البُعد الاجتماعي لهذا التجمع الأكبر للناس فيكون (الحج وسيلة لتعاون الشعوب الإسلامية واتصالها ببعضها، فالمسلمون على تباعد أقطارهم، وتناهي ديارهم وتشتتهم في جميع أنحاء الأرض، هيا الله - تعالى - لهم مؤتمراً دينياً عاماً يجتمعون فيه، فيقع بينهم أولاً التعارف الذي دعا إليه القرآن في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(١٣٩)، ثم بعد ذلك التعارف يقع التحديث عن حالة كل شعب من شعوب الإسلام، والبحث في تحسينها، والنهوض بها أعلى مراتب الكمال، وتبسط آمال كل شعب والآمه، وتوضع البرامج لتحقيقها، ويكون كل شعب مهيباً لإعانة بقية الشعوب بما في طوقه وبما يقدر عليه)^(١٤٠).

وفي البناء الاجتماعي للحج يُبنى البُعد النفسي من خلاله أيضاً، إذ إن الإنسان غير قادر ان يتجاوز الأنا وان يتحرر من الهوى والشهوات والرغبات عن طريق الاعتزال عن الناس من غير الدخول في الحياة الاجتماعية المتمثلة صورتها في الأفئدة المجتمعة في موسم الحج، فالحج (الحقيقي حركة تحصل في داخل الروح، إنها مسيرة تغيير تتم في جوهر النفس)^(١٤١).

والحج إجمالاً كله دروس عملية في المساواة، ومن هذه الدروس ما وجهه النبي الخاتم (ص) إلى أمته في خطبته الجامعة المانعة، يوم أن خطب الناس في موسم الحج في حجة البلاغ - الوداع -، فقال (ص): (يا أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله (ص))^(١٤٢).

واللافت للنظر هنا أيضاً تذكير المنافع في الآية، وهذا التذكير لجليل مقامها وكبير خطرهما، وهذه المنافع مما لا نلاحظها في عبادة غير عبادة الحج، يقول الرازي: (إنما أنكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينية لا توجد في غيرها من العبادات)^(١٤٣).

فالمراد إذن من هذه المنافع الدنيوية والأخروية معاً، وذلك لإطلاق لفظ منافع من غير تقييد، والمنافع الدنيوية (هي التي تتقدم بها حياة الإنسان الاجتماعية ويصفوا بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير... ومنافع أخروية وهي وجوه التقرب إلى الله تعالى بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل، وعمل الحج بما له من المناسك يتضمن أنواع العبادات من التوجه إلى الله...)^(١٤٤).

وهكذا يكون البناء الحقيقي لفريضة الحج للإنسان الواعي لسر الوجود، فيستلهم تلك المنافع التي وعد الرحمن سبحانه ضيوفه الذين يتطهرون من جميع أشكال الفكر الطاغوتي، أما من (كان ملوثاً بالفكر الباطل أو العمل الطالح لن يكون ضيفاً للبيت الطاهر، فليس الساعي وراء الامتيازات والمقامات والمناصب ضيفاً لبيت المساواة والمساواة، وليس عبد الهوى أو عبد المستكبرين والمليدين ضيفاً للبيت العتيق الحر، بيت الحرية والأحرار)^(١٤٥).

خلاصة الأمر: إن فريضة الحج تُحيي في نفس الإنسان مشاعر كثيرة، فهي تُحيي فيه مشاعر العطف على المسلمين والانتصار لمأساتهم، ومشاعر الاقتداء بالنبي محمد (ص) وآله الطاهرين (ع)، وحياة الاضطهاد من أجل العقيدة التي عاناها، ومشاعر الولاء لله ولرسوله والمؤمنين، ومشاعر التوجه الخالص لله، ومشاعر التجرد عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، ومشاعر العزم على القرب الإلهي وفتح صفحة جديدة مع الله سبحانه مرتكزة على الحب.

إذن تحقيق كل هذه المعاني في أنفسنا وحده الكفيل بتحققها في واقعنا والنهوض من جديد، إذ لم توضع شعائر الحج لذاتها، ولكن لما فيها من العبر والذكريات والدروس والايحاءات العظيمة الرافدة في بناء الإنسان القرآني.

وبكلمة.. الإمام السجاد (ع) في ما أوضحه في (حق الحج) نجده يؤكد على الجوانب الأخلاقية والآثار الروحية للحج والهيئة التي تليق بالمؤمن وهو يؤدي مناسكه بين يدي الله تعالى وهذه معاني مستلهمة من نصوص الوحي الإلهي وارشاداته العظيمة في هداية الناس.

الخاتمة.

من خلال هذه الرحلة السجادية القرآنية، أضع بين يدي القارئ الكريم هذه الخاتمة:

- هدي القرآن الكريم مع ما ورد من إرشادات العترة الطاهرة (ع) يمثل المنهج القويم لفهم سر الوجود وغاية التشريع العبادي.
- لمعاني القرآن الكريم أصل أساس في المفاهيم المعرفية العبادية في فكر الإمام السجاد (ع).

- لعل من أهم ما تجلّى في مفهوم العبادة في الفكر السجّادي هو ربطها بمفهوم (الحق) الذي نقلها من عالم الاعتبار إلى عالم الحقوق المتأصلة في عالم الحقيقية.
- تُعدّ هذه النصوص السجّادية من أوائل النصوص التأسيسية لنظرية المقاصد في بناء الشؤون العبادية على منظومة من المصالح والمفاسد ترتبط بها وتترتب عليها نفيًا وإثباتًا.
- العبادة شعور مكتمل العناصر، فهو تربية لجميع مجالات الإنسان يبدأ المعرفة العقلية، ثم بالانفعال الوجداني، ثم بالنزوع السلوكي.
- وليست العبادة - كما يتصوّر أكثرُ النَّاسِ - منحصرةً في الشّعائر التّعبديّة فقط، بل إنّ دائرة العبادات تتسع لتشمل جميع حركات الإنسان، وتتوسع كلّ جوانب الحياة، وتحجيم دور العبادة واختصارها على طقوس خاوية ومراسيم شكلية بعيدة عن نشاطات الحياة المختلفة، ولهذا توزعت العبادات على مجالات الحياة المختلفة في شمولية ملحوظة.
- أن العبادة هي الغاية من الوجود الإنساني، ولا تكون للحياة أية أهميّة ما لم تكن جميع مظاهرها مُعبرّةً عن معاني التّدلّل والخُضوع لله سبحانه وتعالى.
- للعبادة آثارٌ على الفرد والمجتمع؛ بعضها عاجلة، تتمثل في: تزكية النّفس، ونشر الخير والفضيلة بين النَّاسِ، وأخرى آجلةٌ يلقاها العبد يوم القيامة، عند ربّه في جنّات النّعيم، يوم لا يَنفَع مالٌ ولا بَنونٌ، إلّا من أتى الله بقلب سليم.



الهوامش:

- (١) لجنة التأليف في المعاونة الثقافية، أعلام الهداية الإمام علي بن الحسين، ٢٠/٦.
- (٢) قال الإمام جعفر الصادق (ع): (قال رسول الله (ص): لما اسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما امسكوا فقلت لهم مالكم ربما يبنون وربما امسكتم فقالوا تحييننا النفقة فقلت لهم وما نفقتهم؟ فقالوا: قول المؤمن في الدنيا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإذا قال بنينا وإذا امسك امسكنا، المجلسي، بحار الأنوار: ١٦٩/٩٠.
- (٣) روح الله الخميني، الأربعون حديثاً: ١٦٢.
- (٤) محمد باقر الصدر، نظرة عامة في العبادات، ص ٥٨، ط: محمد تقي مصباح اليزدي، العودة إلى الذات وبنائها من جديد، ص ٨٩. وهذا بخلاف ما دلت عليه الدكتور كامل حمود بالخطا الشائع عند الناس، ومفاده أن العبادات هي مظهر الصلة بالله تعالى فقط. ط: صورة الإنسان، ص ٦٢.
- (٥) عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، ص ٢٥.
- (٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢١٦/٥.
- (٧) سورة البقرة: ٤٣.
- (٨) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٣٣/٢.
- (٩) حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق، ٢٢٤/١.
- (١٠) المجلسي، بحار الأنوار. ٣١٩ / ٧٩، أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٤٣٧/٥.
- (١١) سورة هود: ١١٤، وفي تفسيرها، ط: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٥٧/٢٢. ومحمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٢/١١.
- (١٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤٣٧/٥.
- (١٣) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ص ٢٥٤.
- (١٤) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ١٥٢/١.
- (١٥) عبد الحسين دستغيب، صلاة الخاشعين، ٣٥.
- (١٦) سورة البقرة: ٥-١.
- (١٧) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ١٥٨/١.
- (١٨) سورة البقرة: ١٧٧.
- (١٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٣١/٢.
- (٢٠) سورة التوبة: ١١.
- (٢١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ١٧٤/١٠.
- (٢٢) سورة الأعراف: ١٧٠.
- (٢٣) محمد جعفر شمس الدين، الصلاة الإسلامية: ٣٣.
- (٢٤) وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشي مجموعة من أقوال الأطباء الصحية، ط: النظام التربوي في الإسلام: ٣٣٣.
- (٢٥) حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق، ٢٢/١.
- (٢٦) نظرة عامة في العبادات: ٥٣.
- (٢٧) لجنة التأليف، دليل الحياة في القرآن الكريم، ص ٧٢.
- (٢٨) سورة العنكبوت: ٤٥.
- (٢٩) ط: الرازي، مفاتيح الغيب: ٦٤/٢٥.
- (٣٠) طاهر عيسى درويش، رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين، ص ٨٦.
- (٣١) د. احمد محمد فارس، النماذج الإنسانية في القرآن الكريم، ص ٦٤.
- (٣٢) سورة المعارج: ١٩ - ٢٣.
- (٣٣) ط: عبد العزيز سيد الأهل، أسرار العبادات في الإسلام، ٦٧، مرتضى مطهري، التربية والتعليم في الإسلام، ص ١٢٠.
- (٣٤) فهد بن عبد الرحمن الرومي، الصلاة في القرآن الكريم، ص ٣٨.
- (٣٥) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢/٧١، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٥٨.
- (٣٦) طاهر عيسى درويش، رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين، ص ٩٦.
- (٣٧) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢/٧١، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٥٨.
- (٣٨) سورة البقرة، ٢٦١.
- (٣٩) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠٠/٢.

- (٤٠) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ص ٣٠٢.
- (٤١) الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشريعة، ٤٢٤/٩.
- (٤٢) سورة الروم: ٣٩.
- (٤٣) د. أحمد محمد فارس، النماذج الإنسانية في القرآن الكريم: ٤٥.
- (٤٤) سورة العلق: ٦-٧.
- (٤٥) سورة همزة: ٢-٣.
- (٤٦) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٧٢.
- (٤٧) سيد قطب، في ظلال القرآن: ١٠/١٨، ظ: حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق، ٢٦١/١.
- (٤٨) سورة التوبة: ١٠٣.
- (٤٩) الكليني، الكافي: ٦١/٤، وروي عن النبي (ص)، ظ: المتقي الهندي، كنز العمال: ٢٩٣/٦.
- (٥٠) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٧/٢.
- (٥١) المصدر نفسه: ٧/٢.
- (٥٢) الكليني، الكافي: ٤٩٨/٣.
- (٥٣) المصدر نفسه: ٥٠٥/٣.
- (٥٤) المجلسي، بحار الأنوار: ١٤/٩٣.
- (٥٥) الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشريعة، ٦٦/١٥.
- (٥٦) سورة البقرة: ١٧٢.
- (٥٧) مجمع البيان: ٣٤٥/١.
- (٥٨) لموضوع التنمية الاقتصادية بحوث مختصة أشارت إلى أهمية فريضة الزكاة في هذا المجال، والآثار المترتبة عليها، للتوسعة ظ: بحوث مؤتمر الإسلام والتنمية، تحرير: فاروق عبد الحليم بدران، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، عمان، الأردن، ١٩٩٢م.
- (٥٩) سورة التغابن: ١٦، وسورة الحشر: ٩.
- (٦٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٨/٢٥٩، وظ: القاسمي، محاسن التأويل: ٩/٣٩٢٠.
- (٦١) الترمذي، سنن الترمذي: ١٣٦/٣، والمتقي الهندي، كنز العمال: ١٧٧/١٥. وذهب إلى وجوب الزكاة في مال اليتيم الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، ظ: كتاب الأم، ٣٠/٢، في حين لا يرى فقهاء الإمامية ذلك إلا إذا أُنجر بمال اليتيم، مستندين بقول الإمام جعفر الصادق (ع): (ليس في مال اليتيم زكاة إلا إن يتجر به، فإن أُنجر به فالريح لليتيم فإن وضع - خسر - فعلى الذي يتجر به)، الكليني، الكافي: ٥٤٠/٣. وللتوسعة ظ: أبو القاسم الخوئي، كتاب الزكاة، ص ٦٤، ويرى الباحث أن عدم الوجوب في إخراج الزكاة من مال اليتيم لكون اليتيم غير مُكلف، وعلى كل الأحوال فإن جواز الاتجار بمال اليتيم على ما تقدم مما يحقق النمو الاقتصادي وعدم الركود.
- (٦٢) اقتصادنا، ص ٣٥٦.
- (٦٣) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ص ٣٠٢.
- (٦٤) ظ: د. أحمد العسال، النظام الاقتصادي في الإسلام، مبادئه، وأهدافه، ص ١١٨، ود. إبراهيم الطحاوي، الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً، ص ٣٥٥.
- (٦٥) د. إبراهيم الحاي، الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً: ٣٥٦، ظ: د. أحمد العسال، النظام الاقتصادي في الإسلام: ٩٥.
- (٦٦) ظ: محمد باقر الصدر، اقتصادنا: ٤١، ود. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة: ٢٤١.
- (٦٧) ظ: نفس المصدر: ٣٣٢، محمد مهدي الأصفى، دور الدين في حياة الإنسان: ٤٢.
- (٦٨) محمد باقر الصدر، اقتصادنا: ٢٨٨، وظ: د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة: ٢٣٩.
- (٦٩) سورة البقرة، الآية ٢٧١.
- (٧٠) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ص ٣٠٦.
- (٧١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢/٧١، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٥٨.
- (٧٢) محمد أحمد الأطرش، حقيقتة التقوى وطرق الوصول إليها، ص ٤٦.
- (٧٣) طاهر عيسى درويش، رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين، ص ٩٠.
- (٧٤) الكليني، الكافي: ٤/١٨١.
- (٧٥) سورة البقرة، الآية ١٨٥.
- (٧٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٦٧/١، ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ١٢٥/٢.
- (٧٧) ظ: الألوسي، روح المعاني: ٦٧٢/٢.
- (٧٨) سورة البقرة: ١٨٣.
- (٧٩) الطبرسي، مجمع البيان، ٥/١. وبحسب تتبع الباحث لم يعثر على الحديث في المصادر الحديثية.
- (٨٠) سيد قطب: ١٦٨/١، وللتوسعة في تاريخية الصيام وظ: احمد شلبي، مقارنة الأديان في الإسلام: ١٥٠.
- (٨١) ظ: لجنة التأليف، أعلام الهداية، ١٤٤/٦.
- (٨٢) ظ: د. حسين الحاج حسن، الإمام السجاد جهاد وأمجاد، ص ٢٢٢، حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق، ٢٥٥/١.
- (٨٣) في ظلال القرآن: ١٦٨/١، ظ: محمد رشيد رضا، في تفسير المنار: ١٢٣/٢.
- (٨٤) سورة غافر: ١٩.
- (٨٥) نظرة عامة في العبادات: ٤٤.
- (٨٦) سورة الرعد: ١١.
- (٨٧) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١٥/٦، والرازي مفاتيح الغيب: ١٩/٩.
- (٨٨) الكليني، الكافي: ٣٠٧/٨.
- (٨٩) سورة النبينة: ١١.
- (٩٠) تفسير المنار: ١٢٥/٢.
- (٩١) محمد باقر الصدر، نظرة عامة في العبادات: ٤٥، ظ: محمد مهدي الأصفى، دور الدين في حياة: ١٥٥.
- (٩٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ١٢٥/٢.
- (٩٣) سورة البقرة: ١٨٦.
- (٩٤) تفسير القرآن العظيم: ٢٢٦/١، ظ: القاسمي، محاسن التأويل: ١٧٣/٢.
- (٩٥) حسين نجيب محمد، جمال السالكين للعالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري: ١٧٣.
- (٩٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ٨٥/٥. وفي الآيات ظ على سبيل المثال: سورة الأعراف: ٥٦، وسورة الزمر الآية: ٨.
- (٩٧) الكليني، الكافي: ٤٧٠/٢.
- (٩٨) الحر العاملي، وسائل الشريعة: ٣٩/٧.

- (٩٩) محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة: ٣٤٨/٢.
- (١٠٠) محمد باقر الصدر، نظرة عامة في العبادات: ٣٤.
- (١٠١) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٧٦/١.
- (١٠٢) الكاظمي، الكافي: ٤٧٣/٢.
- (١٠٣) المصدر نفسه.
- (١٠٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٤٨/٢.
- (١٠٥) عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، الصيام ورمضان في السنة والقرآن، ص ١٧٣.
- (١٠٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٣٠/٣، والمجلسي، بحار الأنوار: ٣٧/٩٣.
- (١٠٧) حسين علي المصطفى، فلسفة العبادات: ٢٢٢.
- (١٠٨) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٨٣/٢، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٤٠٧/٦.
- (١٠٩) للتوسعة ط: د. عبد الجواد الصاوي، الصيام معجزة علمية، دار القبلة، عمان، ١٩٩٢م.
- (١١٠) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ص ٢٨٢.
- (١١١) في ظلال القرآن، ١٦٧/١.
- (١١٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٦٧/٥٩، المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٥/٨.
- (١١٣) شهر رمضان رحلة الإنسان إلى الله، ص ١٥.
- (١١٤) كنز العرفان في فقه القرآن، ص ٢٤١.
- (١١٥) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢/٧١، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٥٨.
- (١١٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥/١١.
- (١١٧) محمد حسين فضل الله، الحج عبادة وحركة وسياسة، ص ١٤٣.
- (١١٨) سورة آل عمران، ٩٧.
- (١١٩) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٠٩/٢، ط: جواد أملي، مناسك الحج، ص ٦.
- (١٢٠) د. أحمد برج، أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي، ص ٢٥٠.
- (١٢١) سورة الحج، ٢٦.
- (١٢٢) ط: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٦٨/١٧، الطبرسي، مجمع البيان، ٩٩/٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٢/٣، ويبدو أن محمد الأمين الشنقيطي قد بالغ في المراد من التطهير في الآية أعلاه إذ عد دخول المصورين للبيت الحرام منافياً للتطهير، فقال: (ولا شك أن دخول المصورين في المسجد الحرام حول البيت الحرام بالالتصوير يصورون بها الطائفتين والقائمين والركع السجود: إن ذلك مناف لما أمر الله به من تطهير بيته الحرام..)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٩٩/٣.
- (١٢٣) نظرة عامة في العبادات، ص ٥٣، وحتى ما توضح من أسرار مناسك الحج إجمالاً، فإن ألفت للنظر فيه إنها لا تخرج في كونها من معالم الإخلاص لله تعالى والطاعة، للتوسعة في فلسفتها ط: جواد أملي، مناسك الحج: سرّ العبادة، ص ١٩٠، حسين علي المصطفى، فلسفة العبادات، ص ٤٤٩.
- (١٢٤) سورة النحل، ١٢٥.
- (١٢٥) فقه الجدل في الحج دراسة فقهية استدلالية حول مفهوم الجدل وأحكامه القسم الأول، ص ٩٠.
- (١٢٦) سورة الحج، ٣٧.
- (١٢٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/٢٤٢٢، ط: حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق، ٢٧٥/١.
- (١٢٨) السيد عبد الأعلى السبزواري، جمال السالكين، ص ٨٥.
- (١٢٩) كيف نحافظ على مكاسب الحج؟، ص ١٠٣.
- (١٣٠) أبعاد الحج في كلام الإمام الخميني، ص ٥.
- (١٣١) أبعاد الحج في كلام الإمام الخميني، ص ٢٤.
- (١٣٢) سورة النحل، ٣٦.
- (١٣٣) جواد أملي، الحج وتحقيق هدف الأنبياء(ع)، ص ١٧٦.
- (١٣٤) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣٥/٨.
- (١٣٥) سورة آل عمران، ٩٦.
- (١٣٦) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٦٢/٦.
- (١٣٧) سورة إبراهيم، ٣٧.
- (١٣٨) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢١١٠/٤.
- (١٣٩) سورة الحجرات، ١٣.
- (١٤٠) د. محمد بن موسى الشريف، المقالات النفسية في الحج، ص ٤٢٠.
- (١٤١) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ص ٢٩٥.
- (١٤٢) أحمد، مسند أحمد، ٤١١/٥، المتقي الهندي، كنز العمال، ٩٣/٣، ط: المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٠/٣.
- (١٤٣) مفاتيح الغيب، ٢٣ / ٢٦.
- (١٤٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٦/١٤ - ٣١٧، ط: الألوسي، روح المعاني، ١٨٩/١٧، محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ٥٥/١٦.
- (١٤٥) جواد أملي، مناسك الحج: سرّ العبادة، ص ١٦.

قائمة المصادر

- خير ما نبدأ به: القرآن الكريم
- (١) إبراهيم الطحاوي(الدكتور)، الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- (٢) أحمد العسال(الدكتور)، النظام الاقتصادي في الإسلام، مبادئه، وأهدافه، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢، ١٩٧٧م.
- (٣) أحمد برج(الدكتور)، أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي، دار الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
- (٤) احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (دت).
- (٥) احمد محمد فارس(الدكتور)، النماذج الإنسانية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، بيروت، ٢، ١٩٨٩م.
- (٦) الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٧) باقر شريف القرشي(ت ٢٠١٢م)، النظام التربوي في الإسلام - دراسة مقارنة -، دار الكتاب الإسلامي، (دت).
- (٨) الترمذي، سنن الترمذي(ت ٢٠٩هـ) محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

- (دت).
- (٩) جوادى أملي، مناسك الحج: سر العباداة، مجلة ميقات الحج، طهران، السنة ١٥، رجب، ١٤٢٩هـ، العدد ٣٠.
- (١٠) حسن القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين(ع)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- (١١) حسين الحاج حسن(الدكتور)، الإمام السجاد جهاد وأمجاد، دار المرتضى، بيروت، (دت).
- (١٢) حسين نجيب محمد، جمال السالكين للعالم الرباني السيد عبد الأعلى السيزواري،
- (١٣) الحر العاملي(ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م، ط٥.
- (١٤) حيدر حب الله، فقه الجدل في الحج دراسة فقهية استدلالية حول مفهوم الجدل وأحكامه القسم الأول، مجلة ميقات الحج، طهران، السنة ١٣، محرم، ١٤٢٧هـ، العدد ٢٥.
- (١٥) الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.
- (١٦) ابن سعد محمد (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، (دت).
- (١٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م.
- (١٨) الشافعي(ت ٢٠٤هـ)، كتاب الأم، دار الفكر للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- (١٩) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.
- (٢٠) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- (٢١) الطبرسي(ت ٤٨٥هـ) أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
- (٢٢) الطبري(ت ٣١٠هـ) محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
- (٢٣) عبد الحسين دستغيب، صلاة الخاشعين، دار المعارف، بيروت، ٢٠٠٥م.
- (٢٤) عبد الرحمن حسن حنبلية الميداني، الصيام ورمضان في السنة والقرآن، دار التعليم، دمشق، ١٤٠٧هـ.
- (٢٥) عبد العزيز سيد الأهل، أسرار العبادات في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- (٢٦) عبد الكريم زيدان(الدكتور)، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ٢٠٠٢م.
- (٢٧) عبد اللطيف مشتهري، مدرسة الصوم، دار الاعتصام، القاهرة، ط٥، ١٤٠٤هـ.
- (٢٨) فهد بن عبد الرحمن الرومي، الصلاة في القرآن الكريم، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- (٢٩) فؤاد عبد الله العمر، نحو تطبيق معاصر لفريضة الزكاة، ذات السلاسل للنشر، الكويت، ١٩٨٤م.
- (٣٠) أبو القاسم الخوني، كتاب الزكاة، المطبعة العلمية، قم، ١٤١٣هـ.
- (٣١) قدرت الله مشايخي، القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، ترجمة: كمال السيد، مؤسسة انصار بيان للطباعة والنشر، ٢٠١١م.
- (٣٢) كامل حمود(الدكتور)، صورة الإنسان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣م.
- (٣٣) الكليني محمد بن يعقوب(ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ ش.
- (٣٤) المتقي الهندي(ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- (٣٥) لجنة التأليف في المعاونية الثقافية، أعلام الهداية الإمام علي بن الحسين، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت(ع)، بيروت، ٢٠٠٩م، ط٦.
- (٣٦) المجلسي(ت ١١١١هـ) محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد تقي اليزدي، محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٣م.
- (٣٧) محمد أحمد الأطرش، حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- (٣٨) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (دت).
- (٣٩) محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت (Δ) في بناء الجماعة الصالحة،
- (٤٠) محمد باقر الصدر، اقتصادنا، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، مؤسسة بقية الله، النجف الأشرف، ٢٠٠٣م.
- (٤١) محمد باقر الصدر، نظرة عامة في العبادات، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.
- (٤٢) محمد بن موسى الشريف(الدكتور)، المقالات النفسية في الحج، دار الأندلس، جدة، ٢٠٠٠م.
- (٤٣) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
- (٤٤) محمد تقي مصباح اليزدي، العودة إلى الذات وبنائها من جديد، ترجمة: محمد علي تسخيري، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، إيران، ٢٠٠٩م.
- (٤٥) محمد جعفر شمس الدين، الصلاة الإسلامية، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- (٤٦) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
- (٤٧) محمد حسين فضل الله، الحج عبادة وحركة وسياسة، مجلة رسالة التقريب، عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، العدد ٧٦، ٢٠٠٩م.
- (٤٨) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
- (٤٩) محمد حسين فضل الله، شهر رمضان رحلة الإنسان إلى الله، دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٢م.
- (٥٠) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
- (٥١) محمد عبده(ت ١٩٠٥م)، شرح نهج البلاغة، دار الخاخر، قم، ١٤١٢هـ.
- (٥٢) محمد مهدي الأصفى، دور الدين في حياة الإنسان، دار التعارف، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.
- (٥٣) مرتضى مطهرى، التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة الثقليين، سوريا، ط٣، ٢٠٠٣م.
- (٥٤) المقداد السيوري(ت ٨٢٦هـ) جمال الدين، كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق: عبد الرحيم العقيقي البخشايشي، مكتب نويد إسلام، قم، ١٤٢٢هـ.
- (٥٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.